كتاب اليوم



ثروت أباظه

.. وبقي شيء

ثروت أباظه

.. وبقى شئ

كتاب اليوم

ثقافة اليوم وكل يوم
يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم

رئيس مجلس الإدارة :
موسى صبرى

رئيس التحرير :
أمين محمد عدلى

نائب رئيس التحرير :
عبدالعزيز عبدالعليم

مدير التحرير :
حسين فريد

العدد ١٦٠ محرم ١٤٠٠
ديسمبر ١٩٧٩
كانون الأول

الإدارة : أخبار اليوم ٦ شارع الصحافة ت ٧٥٨٨٨٨ عشرة خطوط
تلكس دولى ٩٢٢١٥ - محلى ٩٢٢٨٩

الاشتراكات

جمهورية مصر العربية : قيمة الاشتراك السنوى ٢,٥٠٠ جنيه مصرى

البريد الجوى

دول اتحاد البريد العربى والافريقى	٤,٠٠٠	جنيه مصرى
	٩,٠٠٠	دولار أمريكى أو ما يعادله
باقى دول العالم (أوروبا والامريكتين وآسيا واستراليا)	٩,٠٠٠	جنيه مصرى
	١٥,٠٠٠	دولار أمريكى أو ما يعادله

- ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور
- ترسل القيمة إلى : الاشتراكات ٢٣ ش الصحافة القاهرة ت ٧٤٨٨٤٤ (٥ خطوط)

الغلاف

بريشة الفنان

الأستاذ حسين بيكار

وبقى شىء

أخذ طريقه فى الحياة وهو يعلم ألا سبيل له غير اجتهاده · كيف استقر هذا المعنى فى نفسه · انه لا يدرى · كان الشباب يتفجر فى داخله وكان اخوانه يمزقون الحياة بشبابهم ولم تكن نفسه عازفة عما يصنعون وانما كان يتوق الى ملاعبهم وتهفو اليها خواطره ورغباته ، وكان يريد أن يكون خنجرا فى صدر الليالى يعتصر رحيقها أحمر فى لون الخمرة الحمراء أو فى لون دماء العذراء وكانت نفسه تحن الى الليالى التى لا تعرف بداية أو نهاية ولكنه كان يقمع كل ما تمور به رغباته وينصرف الى الدرس والمذاكرة · شىء واحد ضعف أمامه ولم يستطع أن يرد نفسه عنه هو المسرح ·

وقد جعل ذهابه الى المسرح فى كل يوم خميس هو جائزته عما بذله من جهد فى أيام الاسبوع الستة الاخرى · وقد كان منتظما مع المسرح كما كان منتظما مع المذاكرة ·

أخلف موعده مع المسرح فى مرات قلائل ذهب فيها مع رفاقه وتمتع بما يتمتعون به وبهرته حياتهم ولكنه مع ذلك استطاع أن يمنع انبهاره أن يميل الى طريق الرفاق ·

فالحياة التى كان يشاركهم فيها يوم الخميس كانوا هم يعيشون فيها كل أيام الحياة وربما استثنى بعض منهم شهرا أو شهرين قبيل الامتحان ، ولكن الحياة الطبيعية كانت هذه المتعة التى يعيشون بها

ولها والتى خاف بهجت أن يشاركهم فيها بأيام الخميس فتصبح كل أيامه خميسا ·

ليس يدرى من أين واتته هذه الحكمة التى لا تتفق مع طبيعة الشباب والتى تختلف بالذات مع طبيعته هو · فقد تنسجم مع فتى غير راغب فى العربدة أما هو فيعبد هذه العربدة ومع ذلك استطاع أن يكون هذا الفتى المثابر فى المذاكرة والحريص على النجاح ·

ولا يدرى أيضا من أين جاءه حبه للتمثيل هذا الحب الذى جعله يواظب على حضور المسرح كل يوم خميس فى أيام المذاكرة وكل يوم فى أيام الاجازة ·

وقد حاول أن يحلل هذا الشغف بالمسرح فعجز وأسلم نفسه اليه فى نشوة وبغير تحفظ ·

ربما كان حرصه على المذاكرة وليد ما كانت أمه تنبهه اليه · فقد مات أبوه وهو بعد فى المراحل الاولى من الدراسة وقد كان أبوه غنيا واسع الغنى ولكنه كان يريد هذا الغنى أن يتسع ويزداد ولا تقف به نهاية فكان يدخل فى مشروعات مالية لا آخر لها ، ونجحت بعض هذه المشروعات فكان جنون المال عنده يزداد · وهكذا أصبح المال عند أبيه غاية لا وسيلة فكان عنده ما يستطيع أن يحيا به فى خفض من العيش وفى بحبوحة ورغد · وكان عنده ما لو تركه لولده لاصبح من الاغنياء الذين تذكر أسماؤهم اذا ذكر الغنى · ولكن لم يكن هدف شاكر أن يصيب المال ليامن الفقر ولا أن يصيب المال ليهيىء لابنه أمانا من الحياة · لقد أصبح جمع المال فى ذاته هو الغاية والهدف · وحين يصبح الامر كذلك يصبح من الطبيعى أن يندفع شاكر منتهبا أيام عمره فى تحقيق هذا الهدف وهو لا يدرى ما يدريه كل الناس ان هذا هدف لا يمكن أن يتحقق فانه لا نهاية للارقام ·

ومثلما تستطيع هذه الارقام ان ترسل الامن والنشوة الطاغية المتفجرة الى النفوس تستطيع أن ترسل الالم المرير واليأس القاتل وتستطيع أن تصبح ركاما من الثلوج بلا دفء ولا رحمة · فالارقام التى لا تعرف النهاية لا تعرف الرحمة أيضا ·

وحين مات الاب كانت ثروته كلها قد استنزفت فى محاولة انشاء ثروة أضخم وبقى لزوجته بعض مال يشكل فقرا أكثر مما يشكل

سترا وبقى لها أيضا بهجت فى أول حياته ، فمستقبله جميعا عبء على أكتافها وعلى أكتاف هذه الصبابة الضئيلة التى بقيت لها من أموال زوجها ·

وكانت تفيدة تعلم أنه لا أمل لها فى أن تنال شيئا من عون خيرى عم بهجت وأخى زوجها · فقد كان الاخوان متنافرين وربما كان سعار شاكر فى جمع المال يرجع الى غنى أخيه الفاحش · فقد كان تاجرا يحسن العمل فى تجارته ولم يكن يتجاوز مجال نجاحه هذا الى أى مجال آخر · فقد كان يتاجر فى الفاكهة والموز بوجه خاص وقد اشترى من تجارته أرضا زراعية واسعة ولم يزرع فيها الا الموز فهو فى زراعته وتجارته خبير قل أن يلحق به لاحق · وقد حاول شاكر أن يشاركه ولكنه أبى عليه هذا مدعيا أنه تعود أن يكون منفردا بتجارته وبرأيه فيها ويخشى اذا شارك أحدا حتى ولو كان أخاه أن يتعثر به الرأى · ولم يكن هذا الطلب من شاكر وهذا الرفض من خيرى هو أول الخلاف ولا كان آخره وانما هو خلاف نشب بينهما منذ الطفولة ونما معهما واشتد مع الزمان وكأنه كائن حى تزيده الايام قوة وصلابة وكانت تفيدة على ثقة من أن شاكر لو كان قدر له أن يعيش حتى يبلغ الشيخوخة لما استطاع وهن الشيخوخة أن ينال من عنف الخلاف بين الاخوين فهو خلاف من ذلك النوع الذى تغذيه الايام وتزيده مرارة وشرا وقتامة ·

أدركت تفيدة منذ بدأت تفكر بعد موت زوجها وهو مفلس أن ليس لها الا هذا المال القليل الذى خلفه لها ولابنها · وحين زارها خيرى لينبئها أنه تحت أمرها لم تحاول أن تطلب منه شيئا فهى تعرف أن الاخ الذى يريد أن يقدم عونا لا يعرض قولا وانما عملا وما دام لم يفعل فالامر اذن كما توقعته ·

واجهت الايام ونشأ بهجت فى هذه الضائقة وكان يعرف ماتعانيه أمه وما كان له الا يعرفه · وكيف وهو لا يسمع من أمه الا عن هذا العناء · ولعله فى نفسه البعيدة كان يرد نفسه عما تشتهيه حتى لا يزيد عبء أمه أعباء ·

وحيث أنها سمحت له بالذهاب الى المسرح الا أنه لم يكن يقول لامه انه فى أغلب الايام التى يذهب فيها الى المسرح كان يشـــاهد

روايات سبق له أن شاهدها مرات ومرات وكان في أول هوايته يعجب من نفسه ومن جنونه هذا الذي يجعله يذهب ليرى شيئا شاهده وعرف كل أسراره بل انه في بعض الروايات كان يسبق الممثلين بجمل الحوار وراح يمعن النظر في شأن نفسه فتخادعه نفسه عن نفسه ولا يدري سر هوايته · ولكن سرعان ما تكشفت له الحقيقة · انه يحب التمثيـــل أكثر مما يحب المسرح · انه يتمنى أن يكون ممثلا · ولا شك في هذا كانت نفسه تطوى عنه هذه الحقيقة ولم تكن تعترف بها حتى حين يعود من المسرح ويقف أمام المرآة ليمثل الادوار حتى أدوار النساء والخدم ·

أمل لا سبيل الى تحقيقه · فهذه مهنة قد يعترف بها مثقف ولكن هيهات أن تقبلها أمه له لقاء ما عانت من حرما وشظف عيش ·

انها ستقول أهذا جزائي · وفكر أن يحاول · وخاف واستجمع بعض شجاعته ثم لم يستطع · كان امتحان الثانوية العامة قد اقترب وكان قد اختار القسم الادبي لانه كان يعرف أنه أقوى في المواد النظرية · وكانت أمه دائما تقول انها تحب أن تراه وكيل نيابة وقاضيا فلم تكن تسأله عن الكلية التي يريد الالتحاق بها مفترضة أنها الحقوق فما تعود أن يخذل لها رغبة فكيف به اذا كانت أمنية ·

للامومة عند تفيدة لحظات تفيض فيها وتنسى أن ابنها أصبح شابا وتحب أن تحتوى هذا الابن وتجلسه على ركبتيها وتهزه بهما وكأنه مازال ذلك الطفل الوليد وكانت تفيدة في كثير من الاحيان تحب أن تزيل عن ولدها ما كانت ترسبه في نفسه من مشاعر فقر وحاجة · تربت ظهره وتقبله وتنظر اليه ويسمع من عينيها أن هذه النظرة حبها من الدنيا وأنها تجد فيها أعظم مكافأة على مابذلت من سنوات عمر شداد ·

في مرة من هذه المرات ظن بهجت أن الامومة تستطيع أن تقبل منه أي شيء حتى رغبته في أن يكون ممثلا ·

— هل أعجبك الفيلم الذي شاهدناه

— متى ؟

— الشهر الفائت

— ولماذا تذكرته

— فقط أسأل

— لقد قلت لك انه أعجبني ساعتها

— ألم يعجبك الممثل

— وكيف لايعجبني أنه أحسن ممثل في مصر وربما في الشرق الاوسط

— أريد أن أكون مثله

— لقد كان يمثل دور طبيب وأنت أدبي

— اريد ان أكون ممثلا ·

لو كان قد أخرج مسدسا ووضع فوهته أمام عينيها ما أصابها هذا الذي طفح على وجهها · أخذت · صمتت · انفتحت عيناها حتى أوشكتا أن تنفجرا انهما بركانان صغيران بل كبيران هاتان العينان ·· وجهها صفرة ، جبهتها غضون . الابتسامة صارت يأسا، الحنان أصبح هلعا · نور الصباح انقلب في سمتها ظلاما قاتما ·· لحظات· وطفرت دموع أمسكت بها لن تسيل فيرتد البكاء الى صوتها لتقول . فينحبس القول وتبتلعه فيستعصى وبهجت يتمنى لو لم يكن قال ما قال ويهم بأن يدعى شيئا يزيل هذا الهول الذي ألم بها فتردعه نفسه · لقد قال فلينتظر الى أي مدى تصل به تجربته · واستجمعت الام نفسها آخر الامر وصرخت في صوت مكبوت لا ترتفع نبراته وان كان الصياح منه يطرق أبواب السماء ·

— لو عرفت الايام التي عشتها أو التي متها من أجلك · الذعر من الغد واليأس يمسك به بعض الامل فاننا بينهما خرقة ممزقة متهرئة لا ترتاح الى اليأس فتسقط وتنتهي ولا تتعلق من الامل بأسباب تتيح لها أسباب البقاء · حياتي خوف راجف بعض منه يزلزل الجبال والحياة حولي متاهة كبيرة لا أجد أحدا أسأله الطريق بل لا أجد أحدا أشكو له التيه · أخاف عليك الشتاء يأتي فلا أكسوك وأخاف عليك أن يجرحك زميل بامتهان · طفولتك شيخوختي وأنا في ربيع الشباب وشبابك اعيائي وأنا في خريف من الكهولة ·

أكل الذي بذلت · لتكون ممثلا ! · آمالي ونفسي وطمأنينتي من أجل ·

— كفى ·· كفى ·· وهل أصبحت ممثلا فعلا

— يكفي أن تريد
— كلمة جرها حديث
— بل أنت الذى خلقت الحديث
— ربما أردت أن أمزح
— ليس فى القتل مزاح

طوى أمله فى ذلك المكان من نفسه الذى تعود فيه أن يكبح رغباته· ولو أن هذا الامل كان جامحا لا يتيح له أن يهدأ أو يراح الى يأس ·
دخل كلية الحقوق وسار حياته كما تعود أن يسيرها واطمأنت أمه فلم تصبح تخشى عليه أن يذهب الى المسرح فى كل أسبوع كما تعود · وانتهت السنوات حتى صار الى السنة النهائية ثم حدث حادث ·

كان عمه يزور مزرعته ومعه زوجته وابنه الوحيد عاصم وكان لابد للعم أن يعود الى القاهرة فى المساء وكانت السماء تمطر ذلك المطر المصرى الهين الذى يجعل الطريق صعيدا زلقا والذى يجعل السيارات معرضة لخطورة بالغة · ولولا أن خيرى كان واثقا من مهارة سائقه لاتخذ فى السفر وسيلة أخرى غير السيارة ولكن كيف اذن تنقلب حياة بهجت ·· انقلبت سيارة خيرى فى النيل ومات الاربعة جميعا وفجأة أصبح بهجت الوارث الوحيد لعمه ·

لو لم يكن فى نهاية الطريق فى كلية الحقوق لكان فكر أن يكتفى ولكن لم ير بأسا من أن يكمل دراسته · وانتهز الفرصة من هذه الاشهر التى كانت تفصل بين الثروة المفاجئة التى هبطت عليه وبين الامتحان ليعد الخطة التى يريد أن يختطها · فى اناة وروية أعد خطته وبغير أى تسرع ونجح بهجت فى الامتحان ·

— هل تصرين أن أكون وكيل نيابة ؟
— هذا شيء أحبه لك ولكن أنت فى ذلك حر · فما دمت قد نلت الليسانس فأنت
— اذن فاسمعى ما أقوله لك جيدا ولا تغضبى
— قل
— المال الذى تركه لى عمى
— ماله

— أولا أنا سأصفى التجارة
— ولماذا
— أتريدين أن أصبح مثل أبى
— وكيف
— لو تاجرت فسأصبح مثله فانا كما تعرفين لا أدرى من شأن الموز شيئا الا انه فاكهة يأكلها الناس بعد أن يقشروها وتقول الامهات لاولادهن لا ترموا القشر فى الطريق حتى لا يتسبب فى وقوع الناس ·
والى هنا وتنتهى معلوماتى عن الموز ·
— هذا عن التجارة · فماذا عن الزراعة
— ان عرفت عن الموز جملة · فانا لا أعرف فى الزراعة حرفا
— فستبيع الارض اذن
— لا وصلت الى طريق
— ما هو ؟؟
— سأؤجر الارض الى خبراء وقد سألت فعرفت القيمة المناسبة ولن أكون مظلوما فى الايجار
— تفكير لا بأس به
— وعلى هذا فرأس المال سيبقى ولن يمسه أحد حتى ولو انتحرت · فلا شك أننى سأتزوج ولا أحب لزوجتى أن تعانى ما عانيت أنت معى
— عين العقل
— وأيضا سأعتبر ما أحصل عليه من تصفية التجارة من ضمن رأس المال وسأشترى به أسهما باسمك حتى لا أمسها ·
— أنا لا أريد شيئا
— أنا الذى يريد أن يكبل نفسه
— وهو كذلك
— المال السائل بعد ذلك أنا حر فيه
— وماذا ستفعل
— هذا شأنى
— ألا تقول لى

- ستعرفين

- وعرفت . كانت آمال المتعة مازالت تداعب نفسه ولكن الامل فى أن يكون ممثلا كان اكبر ، ليس من السهل أن ينشىء مسرحا ، فهو يعلم أن أحدا لم يسمع به . وأن أحدا لن يرى مسرحه . وستكون التجربة غير مقنعة بالنسبة اليه .

فهو يريد أن يعرف رأى الناس ولن يأتى هؤلاء الناس للمسرح أبدا مادام هو منشئه ، كان قد أعد الخطة .

سيعتمد فى أول الامر على مشاهير الممثلين . وسيمثل الى جانبهم الروايات العالمية انه يريد أن يمثل عطيل ويسأل ديدمونة عن المنديل ..

وفيدرا ..
وأوديب الملك . ويخرج عينيه ويصبح أعمى
وصلاح الدين ويحارب ..
وانطونيو وكليوباترا ويحب ويخون بلاده ثم يموت فى سبيلها
واهل الكهف لتوفيق الحكيم
وكل الادوار

يريد ان يكون ممثلا كوميديا ايضا فيجمع الى بطولة المأساة بطولة الاضحاك وهو يعلم ان موهبته بقدر مايريد .

أنشأ المسرح

وبدأ التمثيل وكان لابد من البروفات وكان المخرج امينا . ولكنه وجد نفسه وجها لوجه امام رجل صاحب مال ولكنه يقف لاول مرة على المسرح فانتحى به جانبا .

- استطيع ان أقول لك انك اعظم ممثل فى العالم
- غير معقول
- انت صاحب المال والمفروض ان صاحب المال هو اعظم كل شىء فى العالم .
- ولكنك امين
- ليس فقط لاننى امين ولكن ايضا اعلم ان كذبى سينكشف منذ اللحظة الاولى التى سيرفع فيها الستار عنك .
- وماذا ترى

- ماذا ترى انت
- امرك
- امرى ان تؤجل افتتاح المسرح عاما كاملا
- عاما كاملا
- اعلمك فيه التمثيل
- وهل عندى موهبة
- اكذب ايضا لو قلت اننى اعرف .. فكثيرا ما انتظرنا ان يصبح تلميذ من تلاميذنا احسن ممثل فى العالم ثم لايقبله الجمهور والعكس صحيح نجح من كنا نتوقع لهم الفشل الذريع .
- ولكنى اعبد المسرح
- المسرح لايهتم كثيرا بمن يعبدونه أو لايعبدونه
- وكيف اعرف
- استطيع بعد فترة من تمرينك ان اخبرك ولكن الحكم ليس لى
- للجمهور
- انه لايهمه ان تكون صاحب مال أو لاتكون ولايهمه أن تكون صاحب موهبة أو لاتكون هو يقبلك وهو لايقبلك دون سبب وهو لا يحتاج أن يبدى أسبابا .
- والنقاد
- لاشأن للجمهور بالنقاد فقد يصفقون ويشقون حناجرهم بالهتاف للرواية أو للمسرحية أو للمؤلف أو للممثل ولا يقبل الجمهور وقد يكيلون الصفعات ويقبل الجمهور .
- اذن
- الامر لك
- ليكن ماتريد

وبدأ العام واستطاع صحفى ذكى ان يتعرف على بهجت واستطاع ان يجعل من تجربته هذه مادة صحفية فيها طرافة وفيها جد وفيها أيضا شهرة سبقت بهجت الى المسرح وأقبل عليه مصورو الصحف يلتقطون صورته وهو يتعلم التمثيل ويجرون معه الاحاديث فيخبرهم عن الكتب التى يقرأها فى هذا الفن واستطاع المخرج فعلا ان يجمع له برنامج المعهد العالى كله فى عام واحد ، اما الامتحان فهو لم يكن

في حاجة اليه . وكانت المجلات والصحف تضع عنـــاوين مثيرة للتجربة . المحامي يترك ساحة القضاء الى خشبة المسرح . بهجت شاكر لايستعجل الشهرة وانما يعد نفسه للفن الصحيح . والمجال واسع والصحفيون في انشاء العناوين لامثيل لهم .

وانقضى العام وكان بهجت ذكيا فلا يقبل ان يكـون هو بطـل الرواية وانما قدم احد عمالقة المسرح ونخبة متألقة من نجومه ليقف في ظله وظلها .

ونزلت الاعلانات في بذخ الاسماء الكبيرة احمد فؤاد وســـهام سامي ، بالخط الكبير الضخم وتحتها في تواضع ، بهجت شاكر

احمد فؤاد ، ممثل اصبحت شهرته تملأ العالم العـربي اجمع واستطاع من خشبة المسرح ان يكون نجما سينمائيا شهيرا .

وسهام سامي فتاة في ريعان العمر ، متألقة الجمال قفزت هي الاخرى الى السينما واصبح تمثيلها على المسرح حدثا فنيا من شأنه أن يحقق النجاح .

وكانت الليلة الاولى .

ويرى الجمهور لاول مرة في حياته ويراه الجمهور .

كانت الليلة ناجحة نجـاحا باهرا . فالمدعوون يملأون المسرح وليس الجمهور والمدعو فرح دائما لانه تفلت الى المسرح مجانا فهو كثير التصفيق . ولم يدر المصفقون ماذا صــنعوه بتصفيقهم هــذا لبهجت . لقد جن به الجنون وراح يجوب الطرقات ماشـيا تاركا سيارته امام المسرح لقد حقق الامل الاكبر في حياته ولقد اصبح ممثلا .

وفي الليلة التالية عرف المخـرج وعـرف الممثلان الكبيران ان المسرحية فشلت ولم يدرك بهجت هذه الحقيقة الا في اليوم الخامس حين تقلص المدعوون واصبحت الصالة لاتحوي الا المشترين ، لم يفكر في خسارته المادية ولكنه احس ان امله بعيد وانه مازال بينه وبين هذا الامل مدى بعيد . كان هذا أمله الوحيد بعد سوسن وقد ضـاع ايضا .

ادرك هذه الحقيقة على رغم مقالات النقاد التي امطرته بوابل من المديح والتمجيد

كان قبل تجربته يظن ان اقلام النقاد هي رأى الجماهير ثم روعته الصالة الخاوية التي تمثلت له هوة من الفراغ واليأس وادرك ان النقاد جمهور مستقل بذاته لاصلة بينه وبين الجمهور الذي يصنع النجوم ، ان هذا الجمهور يحكم بلا حيثيـات ويصـدر حكمه في قسوة واضحة بلا رحمة وبلا محاولة للتلطف في التعبير أو ابداء الرأى انه ببساطة لايشترى التذكرة وبهذا التـوقف عن الشراء يصدر الحكم .

حاول الصحفي ذكرى لطيف :

ـ ليست التجربة الاولى هي كل شيء

ـ بل هي كل شيء اذا لم أعرف العيب حتى اصححه

ـ الرواية ارفع من مستوى الجمهور

ـ ان عدم اقبال الجهور لايعطينا الحق ان نشتمه . لقد اقبل على روايات اعلى مستوى مما قدمت .

ـ مسألة حظ

ـ حجة عاجز . لماذا يخدم الحظ غيري ولا يخدمني وقد هيأت له كل الفرص ليمشي في ركابي

ـ الحظ لا يسأله احد

ـ الا تجرب مرة ثانية

ـ او ادري فيم اخطأت في الاولى . ولم يجد ذكرى شيئا يقوله

ورن جرس التليفون في بيت بهجت

ـ آلو .. من

ـ انا سهام

ـ سهام ســامي

ـ هل تعرف غيرها

ـ اهـلا

ـ ماذا تفعل الليلة

ـ امثل

ـ اقصد بعد التمثيل

ـ انـام

ـ بل لاتنم

- خيرا
- اريدك ان تتعشى عندى
- امـرك
وسألته أمه عما تريده منه سهام فأخبرها
- ما المنـاسبة
- لا ادرى .. يبدو انها تريدنى فى شىء هام
- وماذا بينك وبينها
- زملاء
- هل اصبحت مثلها
- على كل حال هى تعمل عندى الآن
- ليست هذه لغة فنون ولكنها لغة صاحب مال
- يبدو ان هذه هى الحقيقة
- فلماذا لاتقتنع بها
- حين اتأكد سأقتنع
- اتريد ان تتأكد
- لقد علمنى الفقر كثيرا
- مثل ماذا
- مثل ان اواجه الحقيقة مهما تكن مرة
- فواجهها
- حين أراها بعينى سأواجهها
- ألم ترها
- ليس بعد
- سأتركك حتى تراها
- لو كنت رحبت بفكرة أن اكون ممثلا يوم عرضتهاعليك أيام الفقر لاخذت رأيك اليوم بلا أى تفكير ولكنك لو رأيت نفســـك يومذاك والى أى حد ذعرت اننى على حق حين أرفض رأيك أو على الاقل اتحفظ فى الاخذ به .
- أرجو أن أكون مخطئة وتكون محقا .. وفى العشـــاء وجد بهجت نفسه مع سهام سامى وأحمد فؤاد ووجد معهم ثالثا يعرفه بالشهرة ولم يكن قد التقى به قبل ذلك . انه سالم خليل المخرج السينمائى .
قال أحمد :

- عدم نجاح تجربة المسرح يجعلنا نبحث عن الطريق السليم
- وما هو
- ما رأيك فى الانتاج السينمائى
- لا خبرة لى فيه
- ولم تكن لك خبرة بالمسرح
- لقد اخذت احسن العناصر التى تعمل فى المسرح
- وستختار احسن العناصر التى تعمل فى السينما
- لم انجح فى التجربة الاولى
- وقد تنجح فى التجربة الجديدة
- هل عندك قصة
- سالم خليل هو الذى اختارها
- هى قصة لكاتب معروف لم يسقط له عمل قبل اليوم
- هل انت واثق منها
- استاذ بهجت ان لى اسما لابد ان احافظ عليه
- هل معك القصة
- معى
- اقرأها
- ادا شئت فأنت رجل مثقف وتستطيع ان تحكم
- لم استطع ان اصل فى المرة السابقة
- كم من فشل اعقبه نجاح
- استاذ سالم اتعرف لماذا قدمت هذه المسرحية
- حبـا للفن
- انا اريد ان امثل . لا أريد مالا فعندى مايكفينى ولكننى اريد ان امثل
- وهذا وحده سبب معقول
- واحب المسرح
- لعلمك اذا نجحت فى السينما تستطيع ان تنتقل الى المسرح
- آخذ الطريق من آخره
- المهم ان تصل
- أجرب .. ولكن هل رأيت المسرحية

ـ نعم .. نعم
ـ لماذا فشلت
ـ لا أدرى .. كثيرا ماتكون الاعمال جيدة ولاتنجح
ـ لاشك فيها
ـ وانت يا استاذ احمد
ـ فعــلا
ـ وانت ياسهام
ـ الم تلاحظ اننى لم اتكلم من اول الليلة
ـ لاحظت
ـ فاسمح لى اذن ان اكمل الليلة بالاحلام
ـ الا تخبرينى على الاقل برأيك فى موهبتى
ـ لو قلت رأيى لقلت كل شىء .. ان لى معك كلاما آخر
ـ امــرك
ـ متى ستقرأ الرواية
ـ سأتصل بك فى مدى يومين

ـ احمد يعرف كيف يجىء بى .. فهو يمثل معى الآن .. حين ننتهى من القراءة قل له وانا تحت امرك
ـ وهو كذلك

ليس يدرى لماذا فكر وهو فى السيارة فى قصة حبه الكبيرة . انها تلح عليه . منذ اللحظة الاولى التى عرف فيها سوسن . منذ هما يتقدمان معا للجامعة وهى بجمالها الهادىء القوى تقف عاجزة لاتدرى ماذا تفعل وكانما توسمت ان تجد عنده عونا . وقام عنها بالاجراءات . لقد كانت فى طريقها الى كلية الحقوق مثله وتعارفا واحبها حبا عنيفا جارفا حتى لقد قرر فجأة :
ـ لابد ان اتركك

ـ المفروض الا اسألك لماذا . فتركك لى امتهان وسؤالى امعان فى هذا الامتهان ولهذا فانا أسألك لماذا
ـ لاننى اكبرك واحبك واحبك
ـ تخاف من المستقبل
ـ فقر وضياع وذل وهوان . وانظر اليك فاجد انك ليس لهذا خلقت

ـ انت فى السنة الثانية من كلية الحقــوق . ومن يدرى ماذا سيحدث حتى نتخرج بعد سنتين

ـ اما ماسيحدث لى فلاشك فيه . وأما مايحــدث لك فان امره اذن سيكون بلا شك خيرا من حياتك اذا ما ارتبطت بى
ـ ومن يدريك
ـ طبائع الاشياء
ـ الا يكفى ان تحبنى وان .. احبك
ـ يكفى لو كنا سنؤلف قصة لابيتا
ـ وماذا تريد منى
ـ اذا جاءك خاطب فلا ترفضى
ـ هذا امر
ـ هذا انتحار
ـ ومن انبأك اننى اقبل لك هذا
ـ لابد ان تقبليه . ارجوك
ـ وتلح ايضا
ـ سعادتك عندى تستحق هذا الالحاح
ـ كلام عجيب لم اسمع مثله من قبل
ـ لانك عرفت الحب من كتـــاب ســـخفاء يكتبــون القصص ولا يكتبون الحياة
ـ لهذا السخف تحب ان تعيش
ـ ولكن الحياة لاتحب ان تعيش به

ـ لو لم اكن ادرى مقدار حبى لك الذى يجعلنى اثق بمقــدار حبك لى لظننت انك تريد ان تتخلص منى

ـ سوسن الحياة التى تنتظرنى شاقة والعبء فيها ثقيــل اذا تزوجتك

ـ سأعمل ولن اكون عبئا عليك
ـ انك تستحقين خيرا من هذا
ـ لماذا تضحى انت ولا اضحى انا
ـ ولو كنت استطيع الزواج بعد تخرجى لضحينا معــا ولكن لا استطيع

- وفيم العجلة ٠
- ستكون حياتى جحيما وانا اعرف انك تنتظرين موعدا لا ادرى متى انجازه
- لقد جاءنى الخاطب
- ورفضته
- انا رفضته
- ولكن اباك لم يبلغه الرفض
- لم يبلغه فهو معجب به
- اغنى هو
- وهل ينظر ابى الى غير هذا
- اقبليه
- هل انت واثق

ولم يجب وانما سارع يبتعد مخفيا دمعاته ٠ كانت قد تعودت ان تعنف به ويقبل عنفها امتنع عن الصخب مع الرفاق وامتنع عن ملذات الشباب وامتنع عن متع كثيرة يعلم ان فقره لايتيحها له ٠ ولكن مافرضه على نفسه مع سوسن كان ابعد الجراح غورا وحين جاءت ثروة عمه كانت سوسن قد انجبت طفلها الاول ٠

وحين التقى بها فى الكلية بعد ان سمعت بغناه المفاجىء نظرت اليه نظرة طويلة ، ولم يجد شيئا يقوله أو يعمله الا ان يغمغم

- لم اكن ادرى

وابتسمت فى مرارة

- لقد اصدرت حكمك على المستقبل دون ان تقرا صحيفةالدعوى
- لاتزيدى آلامى
- انها بعض آلامى
- اسعيدة انت
- تريد ان تطمئن على تضحيتك
- اريد ان اطمئن عليك
- لاتطمئن
- اتركيه
- وماذا اقول لابنى حين يصبح فى مثل عمرنا

- الا سبيل
- الاحكام التى تصدرها الحيـــاة لا يجوز اعادة النظر فيهـــا لسابقة الفصل فى الدعوى
- بلا استئناف
- فات موعده
- لا تطعن
- انت لم تخطىء فى تطبيق القانون ولكنك اخطات فى وجهة النظر لانقض مادام القانون قد طبق ٠
- تسدين على المسالك
- انا فقط ابقى عليها مسدودة كما اردتها
- اهذا ما كنت اريد
- احببت ان ترى نفسك بطلا ٠٠ افرح لقد اصبحته
- احببت ان تعيش فى سعادة
- هيهات اتعرف انت اين سعادتك او اين سعادتى
- خيل الى ٠٠ ظننت
- الاحكام فى الحياة لاتبنى على ظنون
- الا ترحمين
- انى راحمة لانى أعرف دوافعك
- لعلها تغفر لى عندك
- لقد غفرت لك عندى منذ دمعاتك التى اخفيتها ، وانصرف عنها الى الابد وهو يخفى دموعه عنها مرة أخرى ٠

ما الذى جعله يذكر هذا ٠٠ لايدرى افى نفسه حب جـديد ٠٠ ربما (حين ذهب الى البيت امسك بالرواية ونظر اليها بضع دقائق ٠٠ قلب صفحاتها ٠ كانت المرة الاولى التى يقرأ فيها سيناريو كان الوقت متأخرا فالقى بها الى جانبه وانصرف يهيىء نفسه الى النوم ٠)

فى الصباح كان اول شىء سمعه دعوى تليفونية من سهام سامى

- هل قرأت الرواية
- لم أبدأ بعد
- هل يمكن ان اقول لك رأيا
- واضح أنك دعوتنى من أجل هذا

- انت رجل مستقيم
- ارجو ان اكون كذلك
- ولكن اتحب الرأى المستقيم
- كنت ارجو ان تكونى عرفتنى اكثر من هذا
- اذن اسمع
- انا اسمع
- حرام أن تضيع مالك ووقتك
- هواية ٠٠ انا اعبد التمثيل
- اعبده كما تشاء ولكنك بلا موهبة
- هكذا مرة واحدة

— اسمع أنا لست أستاذة فى المعهد ولا تسمح لى سنى أن أكون خبيرة ولكن لى حاسة وقد تدربت هذه الحاسة فأصبح لها حكم فى هذا الوحش الذى يسمى التمثيل ولى أيضا أصدقاء قالوا لى ما لايستطيع احد ان يقوله لك أو مايحب الكثيرون ان يخفوه عنك لصالحهم الخاصة ابتعد عن هذا الوحش ٠ انه فتاك يمتص فريسته ويخدعها ويسلط عليها غرورها حتى تصبح نفاية بشرية ٠

- الحكم غاية فى القسوة
- بعد سنوات قلائل ستدرك انه غاية فى الرحمة
- ولماذا تقولين لى هذا ٠

— لو كان غيرك ما قلتله شيئا ٠ فهذا الفن يجعل بعض العاملين فيه يتحاسدون ولو كنت اعلم انك من هذا الصنف لمنعت نفسى ان اصارحك خشية ان تظن اننى اخشى على مستقبلى منك ٠

— ماهذا الكلام الفارغ ٠٠ انت فى مجدك هذا تخشين ناشئا

— قل ان يدرك ناشىء انه ناشىء وهو يبحث دائما عن سبب مثل هذه النصيحة غير ان تكون خالصة فليطمئن نفسه ان الممثلة التى بلغت من شهرة تخاف على نفسها منه ولهذا تنصحه أن يبتعد عن التمثيل ٠

— واذا تخلصت منه أليس من الطبيعى ان يأتى آخر يكون صاحب موهبة حقا

— الفاشلون يعمون عن كل الحقائق فلايدركون مثلا ان لكل



نجم فى التمثيل فترة ٠ وان النجم لابد له من نجوم حوله حتى يؤكدوا وجوده ٠٠ وكل هذا يغيب عن تفكيرهم ليؤكدوا لنفسهم انهم اصحاب مواهب ٠

- وما رأيك فى الانتاج السينمائى
- مربح جدا لمن يفهمه وخراب للهواة امثالك
- ولكننى مع ذلك لم تجيبى على سؤالى
- لقد نسيته
- لماذا تقولين هذا لى
- اخشى على نفسى منك
- هذه فهمناها وماذا ايضا

ـ اخشى عليك من نفسك

ـ هل تقدمين نصيحتك لاى انسان تخشين عليه من نفسه

ـ لا شأن لك بهذا

⊙❖⊙

انهم يحتفلون اليوم بعيد ميــلاده الستين · تحتفل به ابنتــه اخلاص وابنه فتوح ويحتفل ايضـــا به زوج ابنته ســعيد مجدى المحامي · ويحتفل ايضا ابناء ابنته الهام وبهجت · والجميع يلتفون حول الممثلة السابقة والجدة الحالية سهام سامى ·

سنوات مرت وسنوات وقطع من العمر طريقا طويلا ومن النجاح طريقا اطول فلم يكن امامه الا أن يعود الى المحاماة وكان قد تعـود الجد الذى أرغم عليه فى أول حياته فنجح فيها نجاحا ساحقا ·

واصبحت شهرته تشمل العالم العربى اجمع بل انه تولى قضايا دولية خارج العالم العربى ·

ولكن العجيب انه مع كل هذا النجاح بقى له شىء هام من هوايته القديمة فهـو يمثل فى كل تصرف يعمله ، يمثـل فى المحكمة ·· يمثل مع أبنائه ·· يمثل مع احفاده والغريب . الغريب انه يمثل مع الممثلة الشهيرة زوجته وكانوا جميعا يضـحكون فيما بينهم على طريقة تمثيله ويزدادون له حبا من اجلها · لم تمر به هوايته عبثا

لقد بقى منها شىء ·· بقى منها شىء كثير ·



وإن كنت تعبت

ـ لا أرى أى فائدة فى التجديف
ـ ومع ذلك لابد أن تجدف ٠
ـ الامواج تتصرف بالقارب غير عابئة بهذا التجديف
ـ ومع ذلك لابد أن أجدف
ـ لماذا ؟
ـ هذا عمل
ـ وان كان بلا فائدة
ـ ليس هناك عمل بلا فائدة
ـ أتراك توجه القارب بتجديفك هذا ؟
ـ أنا لا أدرى ولكن لابد أن أجدف
ـ فاذا كنا تحت رحمة الامواج ؟
ـ ولكن لا يستوى من يجدف ومن لا يجدف
ـ كيف عرفت ؟
ـ انظرى حولك الجميع يجدفون
ـ أترى الجميع
ـ أرى من حولى
ـ ربما كان هناك آخرون لا يجدفون
ـ أولئك لا شك قد توقفوا فى الطريق
ـ أنت تستنتج
ـ بل أنا أعرف
ـ كيف عرفت
ـ وعرفت معى
ـ تقصد هذا الذى يقوله لنا الآخرون
ـ نعم
ـ أتصدقه ؟

ـ ولماذا أكذبه
ـ أنا لا أصدق شيئا لا أراه
ـ ومع ذلك فأنت تعرفين أن ابنك يجدف هو الآخر مع زوجته، وأنت وابنتك فى قارب زوجها الذى يجدف هو بها ويطفيه٠
ـ ما شأن هذا بما قلت ؟
ـ أنت لا ترينهم دائما ومع ذلك تعرفين أنهم موجودون ٠
ـ موجودن طبعا
ـ أن تصدقين ما تريدين أن تصدقيه وترفضين ما لا تحبين
ـ ربما كان تجديفهم عبثا هم أيضا
ـ وليكن ولكن لابد أن نجدف
ربما اذا توقفت عن التجديف بعض الشيء يتواثب السمك الى قاربنا
ـ بل السمك لا يثب انما ينبغى أن نقتنصه بالشباك
ـ وأنت تعلمين ذلك
ـ ومع ذلك فهو يثب أحيانا
ـ الاستثناء ليس القاعدة
ـ ألا تذكر السمكتين اللتين وثبتا معا الى قاربنا دون جهد ٠
ـ مرة
ـ ولكن السمك يثب الى قوارب أخرى أفواجا
ـ ومع ذلك فأصحاب هذه القوارب يصيدون بالشبك هم أيضا
ـ هواة متاعب
ـ يفعلون ما يجب أن يفعلوا
ـ لو كنت مكانها لاكتفيت بالسمك الذى يثب الى القارب ٠
ـ من يدرى ربما اذا توقفوا عن الصيد توقف السمك عن الوثوب اليهم ٠
ـ فليجربوا
ـ ليس لدينا وقت للتجارب
ـ من تقصد ؟
ـ نحن جميعا ٠٠ جميع الذين يجدفون يجربون أن يتوقفوا
ـ ما الذى يخيفهم

ـ الذى يخيفنا
ـ وما الذى يخيفنا
ـ الذى يخيفهم
ـ وما آخرة هذا التجديف
ـ أظن أننا سيأتى علينا وقت ونستريح
ـ من أين عرفت
ـ لا شىء يظل كما هو
ـ طبعا
ـ كانتا ضعيفتين أول الامر ثم أخذتا تشتدان شيئا فشيئا ثم أخذتا تضعفان شيئا فشيئا .
ـ فكف عن التجديف اذن .
ـ سيأتى وقت أكف فيه على رغم انفى لا تستعجلى .
ـ لقد جئت الى قاربك وذراعاك قويتان .
ـ أعرف ذلك
ـ لم تشكى الى ضعفهما الا الآن
ـ ومع ذلك فقد عرفت أنهما ضعفتا .
ـ نعم
ـ ولم تقولين ؟
ـ كنت أيضا أحس بالضعف
ـ اعرف ذلك
ـ ولم تقل
ـ الاشياء البديهية لا داعى لذكرها
ـ ولكننا مع ذلك نقولها
ـ أن تجنبنا البديهيات فى كلامنا مازاد كلامنا عن جملة كل سنة ..
ـ أخاف على ابنتى
ـ لماذا
ـ انها تجدف مع زوجها
ـ وأى غريبة فى ذلك
ـ لم نعودها على ذلك

ـ كنا مخطئين
ـ أخشى أن تتعب
ـ ولماذا لا تخافين على زوجة ابنك
ـ ان من واجبها أن تجدف مع زوجها
ـ أليس هو نفس الواجب بالنسبة لابنتك
ـ صحتها ضعيفة
ـ ارى صحتها أحسن من صحة زوجة ابنك
ـ ايامنا لم تكن نجدف
ـ الايام تتغير .. أين نحن وأين هم
ـ نعم .. بيننا مسافة بعيدة
ـ والمسافة بيننا وبين آبائنا أبعد
ـ بل يخيل الى أننا نقترب منهم
ـ ليس الى الحد الذى تتصورين
ـ الى أين نحن ذاهبان
ـ الى أبى وأبيك وامى وأمك
ـ منذ زمن بعيد لم نرهما
ـ كلما اقتربنا اليهما زاد شوقنا لرؤيتهما
ـ تعبت
ـ فتوقف
ـ لا أستطيع
ـ ألا ترى الموج يسير بنا حتى وان لم تجدف
ـ لابد أن أساعده
ـ يخيل اليك انك تساعده
ـ بل أعرف أننى أساعده .. على الاقل حين احدف أحس اننى أتقدم .
ـ وهم
ـ بل الوهم أن أتوقف وأترك للموج كل شىء .
ـ ان كل شىء فى يده
ـ ولكنه مع ذلك يريدنى أن أجدف
ـ أقال لك هذا

ـ كثيرا
ـ أبينك وبينه حديث
ـ لا تسمعينه
ـ حسبت أننى وحدى التى أكلمه
ـ وانما نظن أننا ننفرد بأشياء ٠٠ غرور
ـ لابد منه
ـ لماذا
ـ لنتحمل الرحلة الطويلة
ـ ألا تحتمل الا بالغرور
ـ وبأشياء أخرى
ـ مثل ماذا
ـ مثل التجديف
ـ وماذا ؟
ـ وهذا الكلام الفارغ
ـ ولا أدرى ٠٠ ربما أيضا بشعورنا أننا لابد أن نحتمل
ـ وان لم
ـ لا يهم ٠٠ سواء عند الموج أن نحتمل أو لا نحتمل فالرحلة ستنته
ـ أعلم ٠٠ أتذكر متى بدأنا الرحلة
ـ لم أعد أذكر شيئا
ـ ولا أنا
ـ هذا حسن
ـ لماذا
ـ ربما معناه أننا اقتربنا
ـ أتريدنا أن نقترب
ـ لا
ـ ولا أنا
ـ مع أنك تعبت
ـ مع أنى تعبت



حكاية رجل بخيل

نشأ كما ينشأ أمثاله جميعا من أبنـــاء الاثرياء فى الريف · فلم يكن العلم ذا شـأن فى هذا الحين من الزمان فكان بحسب الطفل من هؤلاء أن يختم القرآن فى الكتاب وأن يتعلم أصول الحساب وقواعده فان كان ذا ميل شـديد للدراسة أرســله أبوه ليكمل تعليمه فى القاهرة فان لم يكن فهو مقيم بجانب أبيه فى القرية يعين أباه فى شـئون الحقل ويصبح من أعيان قريته ، فان كان صاحب عقلية راجحة وكلام منمق · واذا كان كريمـــا يحسن اســـتقبال النـــاس ولقاءهم أصبح من أعيان المركز · فان كان واسع الثراء صاحب شخصية يمكن أن تكون مرموقة أصبح من أعيان المديرية أو من أعيان البلاد جميعا اذا رشح نفسه فى مجلس شورى القوانين الذى أصبح بعد ذلك مجلس النواب أو مجلس الشيوخ ·

وهكذا اكتفى عبد القادر فهمى بأن يختم القرآن فى قريته الهدارة من أعمال مديرية بنى سويف بالصعيد كما تعلم قواعد المحاسبات على يد ميخائيل أفندى كاتب دائرة والده ·

وكان عبد القادر يجد فى مكتبة أبيه بعض الكتب القديمة فقراها أبناء القرية المتعلم منهم وغير المتعلم فأصبح يحسن الانصات ·

وقد اعتمد عليه أبوه فى أعمال الحقل والمحاسبة فكان يقوم بعمله خير قيام · فعلى الرغم من سعة الارض وكثرة المحاســبات كان عبد القادر على علم بكل خافية من شئون الفدادين التى تبلغ ألفى فدان · وما لبث أن أصبح هو وحده القائم بأمر الارض وكان أبوه يكتفى بأن يأخذ الربع آخر العام · وكان أبوه يعطيه راتبا شهريا خمسين جنيها · ولم تمر الا سنوات أربع حتى فوجىء الاب بأبنه يشترى مائة فدان ·

ــ من أين دفعت الثمن ؟

ــ من مرتبى ·

ــ ألا تصرف منه شيئا ؟

ــ ولمـاذا أصرف ·

ــ ألا تحتاج الى شىء ؟

ــ الاكل فى البيت ·

ــ والملبس ؟

ــ تشتريه أنت فى كل عام ·

ــ ولكن مرتبك لا يكفى لشراء الارض ؟

ــ لقد اتفقت مع البائع على أن أسدد له خمسين جنيها كل شهر ·

ــ وأنت ·

ــ ان سألتك شيئا لا تعطه ·

ولم يعرف الاب أن كان يفرح بابنه هذا المدبر أم يحزن ولكنه تركه وشأنه وان كان قد أزمع فى نفسه أن يعجل بزواجه فقد حزر انه لو تركه دون زواج ما تزوج أبدا وخشى فهمى بك عبد المتعال أن تنقطع ذريته لتدبير ابنه ولا يحب أن يقول لنفسه نتيجة لبخل ابنه ·

ــ أريد أن أزوجك ·

ــ كم سيكلفك الزواج ؟

ــ ليكلف ما يكلف ·

ــ أعطنى تكاليف الزواج ولا تشغل أنت نفسك ·

ــ هذا ما أخشاه ·· انك ابنى الوحيـــد فلو تركتك وشأنك ما تزوجت أبدا ·

ــ أنت مصمم اذن ؟

ــ كل التصميم ·

ــ امرك ·

واختار الاب العروس فتاة من أسرة عريقة بالصعيد وخطبها لابنه دون أن يراها هو أو ابنه فقد كانوا فى ذلك الحين يتزوجون من الاسرة العريقة ولا يهم أن تكون الزوجة جميلة أو غير جميلة · أما عبد القادر فقد ارتاح للزواج حين علم أن أبا زوجته يملك ألفى فدان وليس للعروس الا أخ واحد ولم يكن محتاجا لعلمه الواسع

بالمواريث ليعرف أنها سترث عن أبيها · آجلا أو عاجلا ما يقرب من السبعمائة فدان فقد كانت أمها متو... جانب بيت فخم بالقاهرة · وعد الاب أن يكون من تصيب ...نة لانه أعد قصرا آخر بالقاهرة أيضا ·

وتزوج عبد القادر وعاش هو وزوجته نفيسة في بيت أبيه وكانا يذهبان أحيانا الى بيت أبيها بالقاهرة · وكان الاب ...ف تدبير ابنه فكان هو الذى يعد لسفرهما اذا سافرا وكان يعطى نفيسة مبلغا من المال لتشترى به ما تشاء من القاهرة خوفا من تدبير ابنه الذى لا يحب أن يسميه بخلا ـ اذا هو أعطاء المال دون زوجته ·

وحتى ذلك الحين لم تكن مواهب عبد القادر قد تكشفت فابوه هو الذى ينفق عليه وعلى زوجته ولكن نفيسة لاحظت عن زوجها عدم عنايته بملبسه فكانت هى التى تعتنى بها ، كما لاحظت أنه لا يعتنى بنظافة جسمه ، فكانت تصر أن تفرض عليه النظافة فرضا ويخضع هو صاغرا · فقد كان ذهنه جميعا منصرفا الى القيام بشأن الارض وتدبير مبالغ لشراء أرض أخرى ·

ولم يطل الامر بالزوجة فقد توفى أبو الزوجة رأتبت عبد القادر وجوده الرائع فى المحافظة على حقوق زوجته فاستخلصها كاملة غير منقوصة وأراد أن يبيع بيت القاهرة ليشترى بثمنه أرضا ولكن زوجته التى بدأت ترى بوادر حقيقته الفذة أصرت أن يبقى لها بيت القاهرة ·

ـ لا تنس أننا ننتظر ابننا وسيحتاج الى تعليم ولن نبقى فى القرية طول عمرنا ·

واقتنع · أو هو لم يكن يملك الا أن يقتنع فقد أصرت الزوجة على موقفها ·

ـ وشىء آخر ·
ـ ماذا أيضا ·
ـ أريد مائة جنيه شهريا من ريع أرضى ·
ـ ماذا ؟
ـ هذا خير من أن أكتب توكيلا لاخى سلامة ليدير هو الارض ·

وكانما هددته بالموت بل لعل الموت بالنسبة اليه أهون من هذا التهديد ·

ـ ولك هذا أتريدين شيئا بعد ذلك ؟
ـ افعل بعد ذلك ما تريد ·

فقد ضمنت هى أن تعيش ولا شأن لها بزوجها بعد ذلك ·· فقد كان كثير الحديث عن رغبته فى التملك وكانت تخشى أن تجوع هى وأولادها فى سبيل أن يزيد عبد القادر من أملاكه ·

وأنجبت ابنها الاول ورآه فهمى بك واطمأن على أن ذريته باقية ثم مات ·

مات وانفرد عبد القادر بالارض وبدأت مواهبـــــه تظهر على حقيقتها ·

ـ مصاريف البيت يا عبد القادر ·
ـ والمائة جنيه التى تأخذينها ؟
ـ هذا من مالى ·
ـ وهل لك مال ولى مال ؟
ـ اسمع اما أن تدفع خمسين جنيها فى الشهر مصـــــاريف البيت أو ···
ـ لا تكملى ···
ـ اذن ···
ـ سأخبرهم فى الدائرة أن يصرفوا لك خمسين جنيها كل شهر ·
ـ ولماذا لا تعطينى أنت ؟
ـ وأنت ما شأنك ·
ـ خبايا البيوت لا يجوز أن تعرفها الدائرة ·
ـ انت تأخذين هذا المبلغ رغم أنفى ويدى لا تطاوعنى أن أدفعه ·
ـ أنت حر ·

وأصبحت الدائرة تعطى نفيسة خمسين جنيها فوق المائة وانطلق عبد القادر يبحث عن الارض رحلة طويلة يقطعها كل يوم يمر بالارض ويستخلص كل مليم يمكن أن يستخلصه كل ما يهمه ألا يدفع وأن يجمع ·

حين مات ميخائيل كان لابد له أن يعين كاتبا جديدا ·
ـ كم تأخذ يا ابنى فى الشهر ؟

— كم تدفع ؟
— ثلاثة جنيهات ·
— وهل هذا معقول ؟
— ستسرق أنت عشرة فليكن مرتبك ثلاثة ·

المهم الا يدفع · وقد كان يدرك أن الكاتب سيسرق على كل حال مهما يغدق عليه في المرتب فليستفد هو من المرتب وليسرق الكاتب بعد ذلك ·

كانت الاموال السائلة التى تركها أبوه تكفي لشراء الف فدان فاشتراها وأصبحت أملاكه فى بنى سويف ثلاثة آلاف فدان وأخذ نفسه ألا ينفق هو على نفسه شيئا وقد كان رداؤه رداء المشايخ فهو يلبس العمة والجبة والقفطان جريا على عادة أعيان الصعيد · وقد كان أبوه هو الذى يشترى له الملابس فلما مات أبوه أصبح لايشترى شيئا وقد جاهدت نفيسة جهدا شاقا أن تجعله يشترى بعض الملابس فكان جوابه الوحيد والدائم ·

— لك المائة والخمسون جنيها وليس لك بعد ذلك شيء ··

وأصبح الاولاد ثلاثة وهو لا شأن له بهم · وضاقت نفيسة بالقرية وبزوجها ·

— أريد أن أذهب الى القاهرة ·
— وأنا ·
— أنت حر ·
— لن تأخذى مليما واحدا أكثر مما تأخذين ·
— لا أريد شيئا فقط أريد أن أذهب الى القاهرة ·

ومنذ ذلك الحين أصبحت تسلية عبد القادر اذا خلا به الليل أن يفتش عن القمل فى ملابسه ويقتله وأن يرتق هذه الملابس حتى لا تبين عما تحتها من قذارة أو حتى يسلى نفسه فما كان يهمه أن يبين منه القذر ·

وفى يوم اشترى أرضا وكان لابد أن يسجلها بالقاهرة فذهب الى بيت زوجته وصعد اليها فى الطابق الاعلى ورأت هيئته الجديدة فصرخت :

— ماذا بك ؟

— ماذا ·
— ما هذا الذى تلبسه ؟
— ملابس ·
— ألا يغسلها لك أحد ·
— لقد تركتنى ·
— عشرة قروش لاى فلاحة تغسل ملابسك ·
— أنت لا شأن لك بى ·
— الى هنا ولى شأن ·· يامحمد ·· ياحسين ·

وجاء الخادمان ···

— هذا الشيخ لا يصعد الى الطابق الاعلى الا بعد أن يستحم بالطابق الاسفل وتغير له ملابسه ·
— لن أشترى أى ملابس ·
— سأشتريها أنا ·

ومنذ ذلك اليوم أصبح عبد القادر لا يستحم ولا يغير ملابسه الا اذا زار بيته فى القاهرة وقليلا قليلا ما كان يزور بيته فى القاهرة ·

يشترى ارضا بالمنصورة

كان لابد أن يكون لعبد القادر أصدقاء ··· وقد كان له أصدقاء فعلا ··· وقد أحسن اختيارهم انهم السماسرة وقد كان مع السماسرة أمينا فى المعاملة لا حبا فى الامانة ولكن حبا فى عقد الصفقات الرابحة · وقد كان عبد القادر يعطى السمسار حقه كاملا غير منقوص وغير زائد أيضا بطبيعة الحال · وقد دله سمسار على صفقة مع رجل ألمانى يملك أرضا بعزبة قريبة من المنصورة كان الالمانى مهتما بها غاية الاهتمام فقد بنى بها بيتا أرضيته من الخشب الباركيه وبنى بها بيتا آخر لناظر العزبة وأجرى الماء فيها داخل قنوات من الاسمنت المسلح وبها ترولل يمر على كل شبر من الارض وقد كانت العزبة تستطيع أن تجد مشتريا خيرا من عبد القادر · فعبد القادر لا يعنى بالبيت المنشأ · ولا يهمه فى شيء كيف يجرى الماء ولا يهمه أيضا أن يلف العزبة راكبا الترولل فان قدميه تغنيانه عن الترولل ·

ولكن استفاد من وجود هذه الأشياء ان صاحب العزبة كان مهتما بها والواقع أن فى اطلاقنا على الارض كلمة عزبة ظلما كبيرا لها فهى تفتيش واسع مساحته ألف فدان · والفرصة التى أتيحت لعبدالقادر أن صاحب التفتيش يريد أن يبيعه فى أسرع وقت وأن يحصل على الثمن كاملا ·

فحين قصد السمسار الى عبد القادر قصد اليه وهو يعلم أنه يكاد يكون الشخص الوحيد الذى يجد معه المبلغ كاملا ·

كان الفدان يساوى فى ذلك الحين مائتى جنيه ولكن عبد القادر الذى أدرك الموقف استطاع أن يشترى الفدان بمائة جنيه والبائع لم يجد حيلة للمناقشـــة فأين يجد رجلا يملك مائتى ألف جنيه حاضرة ويريد أن يشترى أرضا لعله كان يجد له لو كان يملك فسحة من الوقت ولكن لا وقت · وهكذا انقض عبد القادر على الصـــفقة انقضاض النسر · وسافر فى ســيارة المالك الالمانى وطاف بالارض طوافا سريعا ولم يلق أى اهتمام بالبيتين ولا بالترولى ولا بقنوات الماء · واستطاع أن يخفى فرحته باتساع الارض فقد كان عبد القادر يملك وجها فريدا فى نوعه فان رأيته خيل اليك أنه يلبس على وجهه قناعا من المطـــاط الرقيق لا تبين فيه خلجة فرحة ولا نأمة سرور ولا علامة حزن وانما هو وجه بلا أى تعبير ولولا افرازات عينيه التى لا تنقطع عن جوانبهما لتأكد لديك أنه يضع هذا القناع اللهم الا اذا أمسكت بوجهه لتتأكد أنه بشرة آدمية لا صناعة فيها ·· وما أظنك ســتفعل فانه بملابســه التى توحى اليك بمقدار قذارته يمنعك ان كنت ممن يحبون النظافة أن تفعل ولهذا لم يكن غريبا على أحد عظماء الصعيد ما كان يفعله مع عبد القادر كلما ذهب لزيارته فقد كان يجلس فى آخر الحجرة وما يكاد يلوح عبـد القادر عنـد الباب حتى يعاجله عظيم الصعيد بقوله ·

ــ عندك وقل ما تريد ·

ولم يكن عبد القادر يغضب لكرامته فمسألة الكرامة عنده ليست ذات بال · كان يقف ويقول ما يريد ويقضيه له العظيم أو لا يقضيه حسب الموضوع المطروح ·

وكان عبد القادر يسخر من العظيم فى نفســـه فهو يملك الآلاف

الافدنة بينما العظيم مدين مع غناه لانه كان ينفق أكثر من ايراده على وجاهته ·

وهكذا طاف عبد القادر بالتفتيش وعاد الى القاهرة · واياك أن تظن أن معنى عودته الى القاهرة أن يعود الى بيته · انه كان يبيت فى لوكاندة بسيدنا الحسين تؤجـر فيها الغرفة بعشرة قروش ، وكان يستأجر الغرفة كاملة لمبيته ، وكان يجد هذا أوفر من ذهابه الى البيت فقد تطالبه زوجته بمال ·· انه لن يعطيها ولكن المطالبة نفسها لا يطيقها ثم هو سيواجه على كل حال بهذا الحمام والملابس وقد كان لا يحب أن يلبس هـــذه الملابس النظيفة لانها قد توحى للناس بغناه وهـــذا فى ذاته سبب كاف أن يبقى على نفسه هذه الملابس المهلهلة ·· ثم بماذا سيتسلى ان لبس النظيف من الثياب وتركه القمل الذى يجمعه آخر الليل اذا خلا به الليل ·

عاد اذن الى القاهرة وأصبح الصباح فكان هو يستقبل اشراق الشمس مع أن موعده مع البائع كان فى الرابعة من بعد الظهر ·· نزل من اللوكاندة فأفطر وكان افطـــاره رغيفا من العيش وبنصف قرش طعمية ثم دلف الى مسجد الحسين فتوضأ وصلى الصبح · وظل جالسا بالمسجد لا يصنع شـــيئا حتى اذا اقترب موعد صلاة الظهر قام قاصدا مسجد السيدة زينب ليصلى الظهر · وهناك وجد متصدقا يوزع العيش والفول النابت على فقراء المسجد ·· الحمد لله لقد أتانا غداؤنا ·· ولم يكن الموزع ليجد أصلح من عبد القادر فى مظهره ليتصدق عليه مما يتصـــدق به على الفقراء · وهكذا تناول عبد القادر غداءه بل وأخذ أيضا خمسة تعريفة كانت ضمن النذر الذى يوزعه المتصدق · وفلسفته بسيطة لا تحتاج الى نقاش ·· خير جاء لى من عند ربنا ، هل أرده ·

وصل بالسيدة وانتظر حتى الموعد الذى يلائمه الترجل الى شارع فؤاد حيث موعـده مع البـائع الالمـانى ·· وقام الى موعده واشترى الارض ·

(أول زيارة لتسلم الارض)

عبد القادر لا يعرف من درجات القطار الا الدرجة الثالثة وأظن اننا نكون سخفاء لو حاولنا أن نسأله عن الدرجتين الاخريين ··

ولكنه يجيب على كل حال .. ألا تصل الدرجات الثلاث فى وقت واحد . فى هذه الليلة لم يشأ أن يبيت فى اللوكاندة فقد حزم أمره أن يأخذالقطار الاول الى المنصورة فما معنى أن ينفق عشرة قروش فى اللوكاندة فلماذا اذن خلقت هذه الارائك المنشورة فى محطة مصر فان لذعه البرد فالبركة فى الجبة يتغطى بها وينام ليلته فى المحطة ويوفر ثمن اللوكاندة وأجرة تذكرة الترام من الحسين الى المحطة .. فوائد كثيرة يجنيها من بياته على هذه الاريكة وقد فعل .. ومن المنصورة استقل قطارا آخر أنزله فى أقرب محطة من التفتيش .. وأقرب محطة من التفتيش تبعد عنه ثلاثة كيلو مترات يستطيع أن يمشيها . فقد أخذ درسا من صـــاحب حمار كان يحاول يوما أن يستأجره . كان ذاهبا الى احد تفاتيشه ونزل بأقرب محطة من التفتيش وكانت المسافة بعيدة بعض الشىء خمسة كيلو ووجد فلاحا ومعه حمار فركب الحمار وحين استقر عليه نظر الى الفلاح .

– كم تاخذ لتوصلنى الى التفتيش ؟

وكان الفلاح يعرفه ويعرف سمعته العريضة .

– خمسة قروش .

– صاغ .

– كثيرة .

– اسمع سأدفع لك ثلاثة تعريفة .

ويبدو أن الفلاح لم يكن معجبا به ولا بما يسمعه عنه فاذا هو يدفعه دفعة قوية تلقيه عن ظهر الحمار ليصبح طريحا على الارض ويقول له .

– والله لا أوصلك حتى لو دفعت خمسين قرشا .

ومنذ ذلك تعلم ألا يستأجر حمارا الا عند الضرورة القصوى . وقد كان يستطيع فى يومه هذا الذى يزورفيه تفتيش الالمانى لاول مرة أن يكلمهم بالتليفون فقد كان بالتفتيش تليفون وكان يستطيع أيضـــا أن يرســل لهم تلغرافا لينتظره بالحنطور الذى كان ضمن ما اشــــتراه فى التفتيش ولكن المكالمة التليفونية أو التلغراف كان لا يمكن ان تكون مجانا أما المشى فالى جانب أنه رياضة فهو أيضا لا يكلف شيئا .

كان القائم بشأن التفتيش عمدة الناحية وكان رجلا وجيها يحب أن يعيش فى رغد عيشة كريمة لايخل فيها فهو محترم فى منطقته يحظى بتقدير الفلاحين وأعيان الناحية .

ولم يكن المفتش حاضرا فى المرة الاولى التى جاء فيها عبد القادر ليطوف بالارض ولكنه طبعا عرف أنباء الزيارة جميعا ولم ينس من قصوا عليه هذه الانباء أن يصفوا له المشترى الجديد . ولم يكن محتاجا لهذا الوصف فقد كان رجل مجتمع وكانت أنباء عبد القادر او معظمها قد وصلته .

كان المفتش جالسا مع الكاتب والخولى وبعض الفلاحين حين أقبل عليهم عبد القادر فى ملابسه الرثة .

– السلام عليكم .

ودون ريث تفكير قال المفتش .

– يعطيك ربنا يا عم الشيخ .

ولم تهتز كرامة عبد القادر فهى قد عودت هذه النظرة ولم يعد صاحبها يهتم بمثل هـــذه التفاهات للناس أن يقولوا وأن يفعلوا ما يشاءون وله هو أن يتمتع بمتعاته الخاصة كما يشاء .

– أنا عبد القادر فهمى .

وانتفض الجميع وسارع المفتش الذى كان يغمزه أحد الفلاحين فى يده بعد فوات الوقت .

– لا مؤاخذة يا سعادة البك اللى ما يعرفك يجهلك .

– لا مؤاخذة ولا يحزنون هيه كيف الحال .

وجلس وطلب دفاتر الحسابات واســتأذن المفتش لحظة ونادى أحد الفلاحين وانتحى به ناحية .

– اذهب الى البيت واطلب اليهم أن يذبحـــوا أوزة ويجهزوا الغـــداء .

– انه لا يستحق .

– يا جدع اخرس انه صاحب التفتيش .

– خسارة فيه .

– أجر ولا تتلكع .

ويذهب الرسول الى البيت ويعود المفتش الى مجلســـه مع عبد

القادر ويبدأ عبد القادر في مراجعة الحسابات وينتهي النقاش بأن يطلب منه المفتش مائة وخمسين جنيها قيمة اصـــلاحات زراعية واستهول المبلغ .

— ولكن الزراعة محتاجة لهذه الادوات .

فظل يناقشهم ويعنف بهم فى النقاش حتى نزل بالمبلغ الى ثلاثين جنيهـــا .

وحينئذ كان الغداء قد أعد ووجد عبد القادر نفسه أمام وليمة هائلة وقد كان آكولا مع أن فلسفته لا تتفق مع هـــذه الصفة فيه فقد قال يوما لاحد الكبراء .

—يا باشا يقولون عنى بخيل .
فقال الباشا :
— والله يا شيخ عبد القادر نعم يقولون هذا .
— هذا غير صحيح .
— أتظن ذلك ؟

— البخيل هو الذى تشتهى نفسه الشيء ولا يشتريه أما أنا فنفسى لا تشتهى شيئا وقد كانت هذه الفلسفة جديرة أن تجعله غير أكول ولكنه — والشهادة لله — فى الولائم ذو فن عريض فهو عليم بالمأكولات يحسن تذوقها ويتناول منها مقادير لا يمكن أن تتناسب مع جسمه الضئيل الهزيل .

فحين وجد نفسه أمام هذه الوليمة التى أعدها له المفتش هش وسجحت نفسه وهم أن يمد يده ولكنه فجأة تذكر اشياء على جانب كبير من الاهمية . انه فى تفتيشه ولعل هذه الوليمة تظهر له فى المرة القادمة بدفاتر الحســـابات . وثنى يده الممدودة ونظر الى المفتش .

— العزومة دى على حسابى أم على حسابكم .

والواقع أن المفتش كان قد أعد الوليمة على حسابه الخاص ولم يفكر مطلقا أن يحاسب الشيخ عبد القادر عليها ولكنه أمام هـــذا السؤال تملكه غيظ شديد فنظر اليه فى ضيق وضجر وقال :
— على حسابك .
—ومن قال لكم أن معدتى تحتمل هذا الاكل ؟

— والله لا نعرف طبعك .
— لا ، أنا لا آكل الا اللبن الرائب .
— أمرك .

وأحضروا له اللبن الرائب وراحوا هم يأكلون الوليمـــة فى نهم مغيظ . وحين انتهى الغداء هم الشيخ عبد القادر بالقيام .
— الحق القطار .
— أمرك ولكنك لم تدفع الثلاثين جنيها .
— آه نسيت خذ .

وأخرج من جيبه عشرة جنيهات تناولها المفتش صامتا معتقدا أنه سيرســـل له باقى المبلغ وأمر بتجهيز العربة واســـتقلها الشيخ عبد القادر وركب معه المفتش وفى منتصف الطريق فاجأه الشيخ عبد القادر بأن أخرج من جيبه عشرة جنيهات أخرى وأعطاها له فقال فى نفسه لعله كان ناســـيا أن معه عشرة أخرى وحين وصلوا الى المحطة فاجأه بأن أعطاه العشرة الثالثة وهو يقول :

— صعب أن أخرج ثلاثين جنيها دفعة واحدة .

(وهو وزوجته)

ضاقت به زوجته فهو يأبى أن يزيد ما يعطيه لها عن المائة وخمسين جنيها وقد أصبح الاولاد خمسة، ثلاثة أولاد وبنتين والاولاد يتعلمون فى الجامعة وهى تريدهم أن يلبسوا أحسن الثياب ما دام أبوهم قادرا والبنتان اقتربتا من سن الزواج ولن يقدم أحـــد على الزواج باحداهما وسمعة أبيهمـــا تملأ الآفاق . وقد انقطع عبد القادر عن البيت تماما منذ عرضت عليه زوجته هذا الحديث . فهو طبعا لن يزيد مرتبهـــا وهو يعلم أنها قد تهدده بنزع الارض من تحت يده فوجد أن خير ما يفعله أن ينقطع تماما عن البيت . ولكن السيدة زوجته لم تسكت فقد أرسلت فى طلب أخيها سلام وسرعان ما جاء كان هو أيضا يكاد يموت من الخجل مما يسمعه عن زوج أخته وقد كان يتوق أن يذهب الى أخته ليحادثها فى أمره ولكنه كان يمنع نفسه خشية أن يتدخل من تلقاء نفسه بين الزوجين . فحين أرسلت اليه أخته وافقت الدعوة هوى فى نفسه .

— ماذا نصنع يا أخى ؟

ـ يا أختى ان لم يكن أصيلا فيجب أن نكون نحن أصلاء ·
ـ أنت لا تحتاج الى أن أحدثك عن شيء ·
ـ أخباره تملأ الدنيا ويتندر بها الناس فى كل مكان ·
ـ يا للفضيحة ·
ـ فى الصعيد فى القاهرة فى المنصورة ·
ـ المصيبة ماذا أصنع مع الاولاد ؟
ـ أنا تحت أمرك ·
ـ تحت أمرى أيكون أبوهم بهذا الثراء ونأخذ منك مالا ·
ـ ترى ماذا تريدينني أن أفعل ؟
ـ المصيبة الكبرى البنتان ·· لقد أشرفتا على سن الزواج ·
ـ اسمعى أنا أستطيع أن أصنع الكثير ·
ـ أصنع ·
ـ قبل أى شيء نرسل اليه أتعرفين طريقه ؟
ـ أعرف الذى يعرف طريقه ·
ـ من ؟
ـ الحاج أحمد هلال من المنصورة ·
ـ من هـــذا ؟
ـ سمسار يلازمه أغلب الوقت وقد طلبته مرة فجاء ورجوته أن يكلمـــه ·
ـ وبماذا أجاب ؟
ـ عاد الرجل الطيب خجلان لا يعرف ماذا يقول فقد رفض أى حديث فى الموضوع ·
ـ ولماذا يلازمه ؟
ـ والله لا أدرى ولكن يبدو أنه ينتفع منه فهو سمسار وهو الذى يتولى له بيع المحصول كما يعرض عليه شراء بعض الاراضى كلما وجد فرصة المهم أنه يلازمه أغلب وقته ·
ـ هل تستطيعين أن تستدعى الحاج أحمد هلال ؟
ـ ان له محل اقامة على الاقل ·
ـ ألا تقولين أنه يلازمه ؟
ـ نعم ولكنه يبيت كل ليلة فى بيته ما لم يكن معه فى القاهرة ·

ـ أتعرفين أين يبيت زوجك ان كان فى القاهرة ؟
ـ فى سيدنا الحسين ·
ـ فى أى لوكاندة ؟
ـ وكيف أعرف ؟
ـ يبدو أنه لاسبيل الا الحاج أحمد هلال فليس من المعقول أن نطوف بلوكاندات الحسين نسألهم عن عبد القادر ·
ـ هل معك نمرة الحاج أحمد هلال ؟
ـ اتيت بها من دفتر المنصورة وقد طلبته منها فى المرة الاولى · وجاء الحاج أحمد هلال وقال سلامة :
ـ أيرضيك ما يصنعه عبد القادر ؟
ـ انه لا يرضى أحدا ·
ـ أنت صديقه ؟
ـ أولا يجب أن تعرف سعادتك أنه لا يحب أن يكون له صديق ·
ـ وأنت ؟
ـ أنا أعمل معه ·
ـ مجرد عمل ·
ـ أنا سمسار وهو غنى يبيع محصولا ويشترى أطيانا ·
ـ فلست صديقا ·
ـ صديق ·· اسمع ·
ـ ماذا ؟
ـ سأروى لك حكايتين ·
ـ حكايات ؟
ـ لتعرف ان كان يمكن لمثله ان يكون له صديق ·
ـ انك تلازمه ·
ـ وتلك هى المصيبة ·· فى يوم اجتمعنا حوله ثلاثة سماسرة فى قهوة حقيرة بالمنصورة ننتظر اقفال البورصة لنزايد على الاقفال ويقدم كل منا العلاوة المناسبة لنشترى قطنه ·· أتعرف كم قنطارا كان يبيعها فى ذلك اليوم ·
ـ كثير طبعا ·
ـ ألفين قنطار ·

- عظيم .
- تأخر الاقفال .
- هيـــه .
- جعنا .. الساعة قاربت الثالثة .
- لم يفكر طبعا أن يدعوكم للغداء .
- انى منتظر .

- نحن فى قهوة حقيرة الغداء لن يكلفه أكثر من خمسة قروش أربعة أرغفة بقرشين صاغ وبثلاثة صاغ طعمية . كانت كافية ونحن نعرف أنه بخيل ولم نكن ننتظر أكثر من ذلك .
- معقول .

- وكلنا كان خجلا أن يدعو الآخرين على الغداء فهذا لايجوز فى وجود رجل فى غناه سيبيع فى جلستنا ألفى قنطار .
- معقول أيضا .
- استأذن منا عبد القادر بك وغاب .

- الى أين ذهب ؟
- انتظر .. قلت لزملائى انى أفكر فى شىء وأنا واثق منه قالوا ماذا ؟ قلت انتظروا ذهبت الى المرحاض .. أتتصور مرحاضا فى قهوة حقيرة .. رائحته تملأ المنطقة كلهـــا لا القهوة وحـــدها .. للمرحاض فتحة مستديرة فى أعلى الباب لا أعرف لوجودها سببا وجدت عبد القادر بك يخرج من جيب الصديرى لفة بها طعميتان ومن الجيب الآخر شـــقة عيش وأنت تعرف أن نظره ضعيف فلم يرنى وراح يتناول غداءه هذا فى المرحاض حتى لا يضطر لدفع القروش الخمسة التى تكفى غداءنا وتقول صديق .

- أعوذ بالله . ولماذا تسير معه ؟
- ألم أقل لك لماذا ؟
- لا ...
- أسمع .
- حكاية أخرى .
- العن وأضل سبيلا .
- ماذا ؟

- ذهبت لابيت معه فى لوكاندة بسيدنا الحسين رجوته أن يغيرها فأبى وكنت مضطرا أن ألازمه لان صفقة هامة كانت تنتظرنا فى الصباح الباكر من اليوم التالى . وكانت عينه اليمنى مصابة برمد حاد . فحين دخلنا اللوكاندة نادى الخادم وقال له اذهب الى الصيدلية القريبة واشتر قطرة وقطارة وبنكلة قطنا سأله الخادم بنكلة قال نعم بنكلة . ذهب الخادم وعاد بالاشياء ورأيته يعطى الخادم شيئا فعجبت فليس هذا من عادته . قبض الخادم على ما أعطاه وخرج دون أن ينظر فيه ولم تمر لحظة الا وفتح الخادم الباب وقال له « ماذا أعطيتنى ياعم الشيخ » فقـــال عبد القـــادر بك « نكلة » فقال الخادم « اذن فانى لم أخطىء لقد اعتقدت أننى أخطأت. (خذ يا عم الشيخ النكلة خسارة تنفعك » وخرج الخادم ولم أجرؤ أن أسأله عما فعل ولكنه هو قال « بنى آدم لا يملأ عينه الا التراب ... ماذا يريد .. أيريد فدانا لانه اشترى لى بضعة أشـــياء من الصيدلية » قلت « الفرق كبير حبتين بين النكلة والفدان » يا عبد القادر بك . قال : « كلكم مجانين تبعثرون من أموالكم فى الكلام الفارغ » . والله لو أعطيته جنيها ما قنع « بنى آدم لا يملأ عينه الا التراب » قلت تعال لنرى عينك أولا « وقطرت له فى عينه المريضة جففت القطرة بقطعة من القطن وألقيتها الى الارض » قال « ماذا فعلت » قلت « رميت القطنة » قال « أنت جننت » قلت « لماذا » قال « ألن تقطر فى العين الثانية » قلت « نعم » قال « فلماذا رميت القطنة » قلت « حتى لا تصاب العين السليمة من العين المريضة » فاذا به يقول غاضبا « يا رجل حرام عليك خسارة القطن . كلكم مجانين » . أتستطيع بربك أن تقدر لى ثمن قطنة مقطوعة من قطنة ثمنها نكلة . وتقول أصدقاء فى هذا اليوم قال لى حكمة عجيبة . قال ان أحد المليونيرات فى الغرب قال راقب الملاليم أما الجنيهات فسوف تراقب نفسها وتقول لى صديق ... يا سعادة البك زوج أختك لا يعرف معنى كلمة صديق هذه أبدا .

- يا سيدى أنا آسف المهم .
- أنا تحت أمرك فى كل شىء الا فى مسألة أختك .
- لـماذا ؟
- حين كلمته فى المرة الفائتة كاد يضربنى والحقيقة أنا أستفيد

منه فصفقاته كثيرة وأنا آخذ حقى فى السمسرة وأنا لا إضمن أن أجد زبونا مثله .

- اذن أخبرنا أين نجده ؟
- هو ليس فى المنصورة .
- فأين تظنه يكون ؟
- لعله فى القاهرة .
- اذن دلنا على مكانه فى القاهرة .
- هذه سهلة .

- وذهب سلام اليه فى اللوكاندة فوجده يمارس هوايته من تنقية القمل من ملابسه .

- يا رجل اتق الله .
- اسمع أنا لا أريد نصائح أحد .
- اتق الله فى نفسك ان لم تتق الله فى أولادك .
- لا شأن لاحد بى .
- ماذا تريد أن تصنع بهذا المال ؟
- أنتم مجانين . والمال لم يوجد الا ليجمع .
- يقولون انه موجود ليتمتع به الانسان .
- أنا أتمتع بجمعه ما رأيك ؟
- أهذه متعتك ؟
- ولا متعة لى غيرها .
- اذن اسمع .
- سمعنا .
- أختى تريد أن تكلمك
- قل أنت ما تريد .
- هناك أشياء لا يقولها الا الزوج .
- أمرى الى الله أذهب معك .

قالت نفيسة :

- اسمع يا عبد القادر هذه الحال لا تنفع .
- هذا آخر ما عندى .
- اذن على أنا أن أفعل ما يجب على .

- اعمل كل ما فى يدك .
- منذ الغد سأسقط التوكيل عنك وأوكله أخى فى ادارة الارض .
- وبعد غد تصلك ورقة الطلاق .
- هذا يوم المنى ... على الاقل يعرف الناس أننى انفصلت عنك لعل بناتك تتزوج .
- ولن تبقى بناتك معك .
- هذا أمر تقررة المحكمة .
- وأنا أحب المحاكم .

وخرج وفعلا أسقطت الست نفيسة عنه التوكيل ووكلت أخاها فى ادارة الارض وفعلا طلق هو زوجته ولم يطالب بضم الاولاد قائلا فى نفسه مادامت قد استولت على الارض فلا أقل من أن تنفق هى على الاولاد . ولكن الست نفيسة كانت مليئة منه بالغيظ فرفعت دعوى نفقة وحكمت المحكمة لها بمائة وخمسين جنيها شهريا مع دفع المتجمد من يوم الطلاق .

جن جنون عبد القادر وذهب الى المحامى .

- ان جاءت البنات الى حضانتى لن يكلفونى أكثر من عشرة جنيهات أو عشرين .

ورفع دعوى الضم بالنسبة للبنتين . أما الاولاد فكانوا قد بلغوا سن الرشد وحكمت المحكمة بالضم وفى يوم تنفيذ الحكم ذهب ومعه الحاج أحمد هلال ليتسلم البنتين وعند باب البيت :

- حاج أحمد ... هات لنا عربة .

وذهب الحاج أحمد فأحضر سيارة أجرة نظر اليها عبد القادر .

- ما هذا ؟
- سيارة أجرة .
- وهل قلت لك سيارة .. أتريد أن تخرب بيتى ؟
- لماذا ؟
- السيارة ستأخذ أكثر من عشرين قرشا .
- فماذا تريد ؟
- عربة ... عربة حنطور بخمسة قروش .

وصرف الحاج أحمد السيارة بعد أن دفع أجرتها من جيبه وأحضر عربة ونزلت البنتان وركبتا معه صاغرتين وسارت العربة !

وفجأة لاحت فى الطريق سيارة فاخرة نظرت البنتان فيها فوجدتا أمهما ومعها خالهما فاذا البنتان تقفزان من العربة وتجريان الى السيارة ويصيح عبد القادر :

ـ امسك يا حاج أحمد ·

ـ ماذا أمسك ؟

ـ البنتين ·

ـ يا عبد القادر بك بناتك كبيرات أتريد يدى أن تأتى على صدريهما ؟

ـ امسك ولا شأن لك ·

ـ نحن فى الشارع يا عبد القادر بك ··· لا يمكن ·· لا أستطيع ·

وأثناء هذا الحوار كانت البنتان قد ركبتا السيارة مع امهما وعاد هو خائبا الى البيت وظل يدفع النفقة ··

عبد القادر وبائعة الفجل

كان جالسا أمام باب بيته فى بنى سويف وكان الوقت رمضان· وكان صائما بطبيعة الحال حين مرت به بائعة فجل ·

ـ بكم الحزمة يا خالة ؟

ـ بتعريفة ··

ـ هات عينة أريها لهم بالداخل ·

ـ احسن فجل وشرفك ·· تفضل ·

واخذ حزمة الفجل ودخل الى منزله وما هى الا لحظات قلائل وعاد ··

ـ خذى يا خالة ·

ـ ماذا ؟

ـ الفجل لم يعجبهم ·

ـ الامر لله هات ·

ـ ونظرت المرأة فى حزمة الفجل ·

ـ ما هذه ؟

ـ الحزمة التى أعطيتها لى ·

ـ يا رجل يا ضلالى ·

ـ عيب يا خالة اختشى ·

ـ أعطيك حزمة ريانة ناضرة فتستبدلها بحزمة ذابلة بقيت عندك منذ أيام ·

ـ أنا يا امرأة ؟

ـ تعريفة يا ضلالى تريد أن تأكلنى فيه ·

ـ اذهبى يا امرأة أنا صائم ولا أريد وجع دماغ ·

ـ صائم يا ضلالى والله لاخرب بيتك ·

واتجهت المرأة الى نقطة البوليس وقدمت شكواها وانتقل الضابط مع قوة الى عبد القادر ·

ـ ماذا فعلت لهذه المرأة ؟ !

ـ انها امرأة مجنونة ·

ـ اسمع انها تقول أنها أعطتك عينة ·

ـ حصل ·

ـ وبالطبع البائع حين يعطى عينة يقدم أحسن ما عنده ·

ـ لقد رددتها لها ·

ـ سنجرى تفتيشا فى بيتك ·

ـ كيف ؟

ـ هكذا ·

ـ وان وجدت فجلا ببيتى ؟ ·

ـ سنقارنه بفجل المرأة فان كان مثله فأنت قد استبدلت حزمة الفجل ·

ـ يا حضرة الضابط تكذبنى وتصدق هذه المرأة ·

ـ أولا أنت تعملها ··· وثانيا لماذا تتبلى عليك هذه المرأة ؟

وقام الضابط والقوة بالتفتيش ووجدوا حزمة الفجل وقاموا بالمقارنة وأصدروا الحكم فى الحال ·

ـ تدفع لهذه المرأة خمسة جنيهات ·

ـ ماذا ؟

ـ أو نقدمك الى النيابة ·

وفى هذه المرة دفع خمسة جنيهات ·

عبد القادر وموظف البنك

كان معه خمسون ألف جنيه وبات ليلته في لوكاندة الحسين وهى في هذا اليوم بالذات أحسن مكان يبيت فيه فهى المكان الوحيد الذى لا يشك أحد أن شخصا يحمل خمسين ألف جنيه يبيت فيه ٠

صلى الفجر فى الحسين وقصد ماشيا الى البنك الاهلى فوجد البنك مازال مغلقا فتكوم بجانب الباب فى انتظار فتح البنك ٠

وأقبل الموظف الذى يحمل مفاتيح البنك فوجد هذه الكومة فرق قلبه على هذا المسكين الذى يجلس فى مثل هذه الساعة المبكرة من الصباح وفى هذا البرد القارس من يناير بباب البنك ٠٠٠ ولم يكن الموظف غنيا ولكنه كان طيبا فمد يده بقرش تعريفة أعطاه لعبد القادر فأخذه ووضعه فى جيبه وهو صامت ٠

وبعد قليل جاء موظفو البنك وجاء المدير فدخل اليه عبد القادر وقدم له الخمسين الف جنيه ليودعها فى حسابه ٠

ودق المدير الجرس ودخل أحد الموظفين فقال له المدير :

– هذه خمسون ألف جنيه أودعها باسم عبد القادر بك فهمى

ونظر الموظف الى عبد القادر فهمى وأنعم النظر ثم قال :

– حضرتك جئت قبل فتح البنك ؟

– نعم ٠

– سعادتك كنت جالسا بجانب الباب ؟

– نعم ٠

– اذن هات التعريفة ٠

وأخرج عبد القادر التعريفة فى صمت وأعطاه للموظف وسأل المدير الموظف فقص عليه ما حدث وضحك المدير وسأل عبد القادر :

– لماذا ؟

– أنا لا أرد خيرا أبدا ٠٠٠ هذا كفر يا سعادة المدير ٠٠٠ كفر ٠

المصير

طال به العمر وطال لم يغير الزمن منه شيئا حتى كان قانون الاصلاح الزراعى فاذا عبد القادر يجد ما جمعه كله بددا ٠٠٠ سبعة آلاف فدان لم يبق منها الا ثلاثمائة ٠٠ ترى هل كان يجمع عبد القادر ماله ليرثه أولاده من بعده ٠٠٠ هراء والا لاعطى لابنائه الفرصة أن

يعيشوا ٠٠ لقد كانت متعته فى الحياة أن يجمع المال ويمنعه عن الآخرين حتى عمن يستحقونه وأول هؤلاء وعلى رأسهم أولاده الذين لولا أمهم لعاشوا عيشة الشحاذين وأبناء العيل ، ان نكبته فى قانون الاصلاح لم تكن فى أن الارض لم يرثها أبناؤه وانما النكبة فى أن الارض لن تصبح ملكا له ٠٠٠ وليست نكبته فى أن ايراده قل فما كان محتاجا لايراد فهو قد أودع باسم ابنه الاكبر ما يقرب من المليون جنيه لانه كان معجبا بابنه الاكبر الذى حصل على بكالوريوس التجارة العليا وكان شحيحا ٠٠ طبعا لم يكن فى القمة التى وصل اليها أبوه من الشح ولكنه كان شحيحا ٠ وهكذا أودع باسمه هذه الاموال حتى لاتنال الضرائب منها شيئا اذا وافاه الاجل المحتوم ٠

الاصلاح الزراعى كان نكبة بالنسبة اليه فى أنه انتزع الارض٠ الاموال باسم ابنه الاكبر كان فقط يريد أن يحرم ضريبة التركات من حقها هذا كل ما فى الامر ولكنه أبدا لم يكن يفكر فى شأن أبنائه ٠٠٠ انها – كما قلت – الرغبة فى الجمع لنفسه والرغبة فى منع الآخرين ٠

ولكن عبد القادر رغم ضآلة جسمه كان قويا على الشدائد فاحتمل الصدمة وظل يواصل حياته كأن شيئا لم يحدث ٠٠٠ طبعا مسألة الايراد لم تؤثر فيه على الاطلاق فقد كان ايراد فدان واحد يكفيه العام كله ويفيض ولكن النزع تجميع العمر ٠٠٠ أمل السنين ٠٠٠ لعله قال فى نفسه قد تمتعت فى الجمع نفسه ولكن ما أظنه قال هذا أيضا ٠٠٠ المهم أنه صبر ولا أدرى كيف صبر ٠٠٠ على أية حال لم يطل به الصبر ٠٠٠

مر على قانون الاصلاح الزراعى ما يقرب من الثلاثة شهور ٠ وكان عبد القادر جالسا فى بيته بالصعيد وحيدا يمارس لعبته المفضلة مع القمل حين سمع أصواتا فى الحجرة التى بها الخزانة ٠٠٠ كان بالخزانة ثلاثمائة جنيه ٠٠٠ قام يجرى الى الحجرة ٠٠٠ الضوء منبعث من مصباح غازى فهو طبعا لا يفكر فى الكهرباء ٠٠٠ ونظر عبد القادر ضعيف ولكن هذا لم يمنعه أن يرى أشباحا حول الخزانة ٠٠ ثلاثة نفر يتعاملون مع الخزانة معاملة لا ترضى عبد القادر ٠

ـ ماذا تعمل يا ابنى أنت وهو ؟

وكانت كلمته الاخيرة التف اللصوص حوله وقتلوه ... لقد مات الميتة التي تليق به . لقد عاش عمره يجمع المال ومات فى سبيل المحافظة على المال .

اعتبرت الضرائب الورثة يملكون السبعة آلاف فدان فحجزت على الثلاثمائة الباقية وفاء للضريبة المستحقة على وراث سبعة آلاف فدان ... وحاول الاخوة أن ينالوا من أخيهم شيئا من المال السائل فأبى مدعيا أن المال جميعه ماله فأبلغوا الضرائب أن الاموال التي بالبنك باسم أخيهم انما هي ملك لابيهم فوضعت تحت الحراسة وفاء للضريبة المستحقة . ولم يبق من عبد القادر فهمى الا هـذه الصفحات التى أنقلها اليك لو كنت ألفتها لك لكان من حقك أن ترى فيها رأيك حسنا كان أو غير حسن ولكن الحياة هي التى ألفت هذه الصفحات وهي ـ للاسف ـ حين تؤلف لا يهمها كثيرا رأى أحد ـ ومع ذلك فقد رأيت فيما ألفت الحياة شيئا يستحق أن أرويه لك وفى هذا الرأى تستطيع أنت أن تقول ما تشاء رضى أو سخطا .



لم يتسع الوقت

حين تقرر أن يسافر الى السعودية لاعمال الشركة البولندية التى يعمل بها لم يفكر فى شىء آخر الا أن يزور الاراضى المقدسة ويطوف حول الكعبة المكرمة ويقف امام شباك النبى ·

ولم يكن توقه الى العمرة عن أى شعور بالايمان بل كان كل ما يفكر فيه هو تحدى هذه الرواسب التى تسيطر على افكار المسلمين والتى يرى ان انصياعهم لها ماهو الاتعلق ببقايا الابوة وعهودالصبا والطفولة·

وكان واثقا ان الانســـان المتحضر لايمكن ان يؤمن بفكرة الدين أو التعلق بأوهامه

وهو واثق من نفسه ومن افكاره وقد ازداد بها وثوقا حين اختار المذاهب الشيوعية مذهباوانسلك فى قالبه وواجه كل ما واجهه اصحاب المذهب من عقاب كما نال كل ما ناله هؤلاء من ثواب ·

والوظيفة التى يرتع فيها الان ماهى الا نهر من فيض البحر الذى انسكب على أبناء مذهبه فما كانت الشركة البولندية لتعينه لو لم يكن شيوعيا غارقا فى الشيوعية يهب لها نفسه والحاده ويقدم اليها أيضا فقره لترده عليه غنى ووفرة ورفاهية ورخاء ·

وقد استطاعت الشيوعية أن توفر له مالم تستطع الرأسمالية أن توفره لاحد من أمثاله · فسيارته كاديلاك من آخر طراز ·· نعم السيارة رأسمالية ولكن مادام الشيوعى قد استخدمها فان سيارته هذه الكاديلاك بالذات تصبح شيوعية بالتخصيص ·

ومنزله من افخم منـازل الزمالك واثاث بيته غالى الثمن غـلاء فاحشا لايهم من بعد ان كان يتسم بالذوق السليم أو لايتسم فكل ما يهمه ان يكون غالى الثمن ·

اما ملابسه فهى فى الحق مضحكة لانه فيما يبدو مصاب بعمى الالوان فتراها تختلط على جسمه كقصة غير معقوله أو كموسيقى صاخبة يعزفها قوم لاقائد لهم ولانوته تجمع بينهم · ولكن كل وحدة من وحدات ملابسه ثمينة فى ذاتها · واضح انه بذل فيها المـــال الكثير · فقد كان يعنيه دائما ان يبذل المال الكثير فيما يركبب أو يسكن أو يلبس ·

وكان يتيه دائما بين الناس بانه لايمد يده لاى دولةشيوعية وانه شيوعى بالمبدا لا بالجيب وهو بطبيعة الحال يرى ان وظيفته هذه التى يشغلها والتى تسكب عليه هذا المال حق طبيعى له لاصلة لها بالشيوعية · هو يرى ذلك امام الناس وحين يخـاطبهم ولكنه فى دخلية نفسه يعرف تماما انه لو لم يكن شيوعيا لما زاد دخله عن دخل زملائه الذين تخرجوا معه والذين يعملون فى الوظائف العادية والذين يعجز مرتبهم ان يطاول عشر مرتبه ·

هو واثق كل الوثوق ان ذلك الخير الذى يمرح فيه سببه الوحيد الذى لاسبب غيره انه شيوعى ويعلم ان الكلية التى تخرج فيها قد ضحت الحياة الآلاف من أمثـاله أغلبهم أكثر منــه علما ودربة على العمل واتقانا له ·

ولكن الشيوعيين وحدهم من هؤلاء الآلاف الذين يستطيعون أن ينالوا ماتهبه لهم الحياة من حظوة · وأصحاب الجرأة فيهم همالذين يستطيعون أن يواجهوا الناس انهم لايمدون يدهم لاى بلد اجنبى · وهو من اصحاب الجرأة هؤلاء ·

حين نزل الى جدة قصد الى فندق الرياض حيث كانت شركته قد حجزت له حجرة فاخرة ذاتغرفة ملحقة وتليفزيون · وبعد ان اودع الحجرة حقيبته ونظر الى المرآة واطمأن على القصة غير المعقولة التى بضعها على نفسه نزل الى بهو الفندق ينتظر اصحاب العمل الذى جاء من أجله ·

ولكنه فوجىء بصديقه رفعت جالسا فى البهو ··

ـ انت ··· انت فى السعودية

ـ عمـــل

ـ فقط ؟

ـ طبعا سأعمل هذه العمرة التى تحكون عنها فى دينكم

ـ وأنت ؟ الله دين آخر

ـ انت تعرف

ـ فعلا ·· أنت مسكين ·· انت بلا دين على الاطلاق

ـ احمد الله على ذلك

ـ بل احمد الشيطان ان شئت

ـ المهم انت ماذا تفعل هنا

ـ انا جئت من اجل هذه العمرة التى نؤمن بها نحن المسلمين

ـ وهل قمت بالعمرة

ـ ليس بعد · انا على موعد مع الاصدقاء ان نقوم بها

ـ اذهب معكم

ـ ألا تخاف

ـ اخاف مم

ـ الا تخاف ان تؤمن ··· ان للكعبة روعة وان لقبر الرسول ضياء لاتراه العين وانما ينفذ الى القلب والى حنايا المشـــاعر فيرج الانسان رجا عميقا وترى روحك محلقة الى عليين تطوف مع النبى فى رحلة آخر دين أرسل الى الناس وتراه معذبا فى سبيل عقيدته ثم تراه فى خطبة الوداع اتم دينه وبشرنا ان الله رضى لنا الاسلام دينا يخطب فى أصحاب عام حجه ان دماءكم وأموالكم حرام بينكم حرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى عامكم هذا · ويهتف بهم وهو يختم رسالته الى البشرية اللهم هل بلغت ويصيحون نعم · ويهتف مرة أخرى اللهم فاشهد ·

اتحتمل هذا جميعه ·

ـ قد لايحتمله السذج من امثالك أما انا فاحتمله وانى واثق

ـ لكم اخشى ان اجدك اكثر سذاجة منى ومن اصحابى المؤمنين

ـ لقد جربت نفسى مع الايمان

ـ حقا

ـ ووجدت نفسى غير قابل للايمان على الاطلاق

ـ هل أنت واثق

ـ كل الثقة

وكيف عرفت

تعرضت لمحنة فلم أذكر الله

ـ ما نوع المحنة

ـ هل يهمك هذا

ـ كل الاهمية

ـ كنت راكبا سيارتى وغفت عينى لاجد نفسى غائصا بسيارتى فى الماء حاولت أن أفتح باب الســـيارة فاستعصى على ورحت أحـاول وأنفاسى تختنق بى تشـــدنى الى الموت فى جـذب آسر عنيف ولم أجد امامى الا ان احاول الخروج من شباك السيارة فرحت أدفع جسمى خلالها دفعا ثم لم أع بعد ذلك من أمر نفسى شيئا ·

ـ أنقذت وأنت مغمى عليك

ـ نعم

ـ ومتى كنت تريد أن تذكر الله ··

أننا نحن المؤمنين نذكر الله حين نصبح عاجزين فان الله يأمرنا ان ندبر نحن أمر انفسنا ونتوكل عليه ولا نتواكل ·

وقد كنت أنت مشغولا بانقاذ نفسك وحين جاءت اللحظة التى يجب ان تقول فيها أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله كان مغمى عليك · يا صديقى ان هذه تجربة لا تصلح دليلا تطمئن اليه ·· انك محصن ضد الايمان ·

ـ أترى ذلك

ـ لا شك فى ذلك ·· هيه ·· أتأتى معنا

ـ لا سأذهب وحدى

وأثار الحديث الكثير من الوساوس فى ضميره · ما مصيرى اذا اهتزت مشاعرى من الايمان واستيقظت من سباتها تلك البذرة القديمة التى القى بها فى نفسى أبواى وسقتها البيئة والتقاليد وتاريخ أجدادى الطويل فى ظل العقيدة ·

وما البأس أن أؤمن وأظل فى عملى ·· هراء أن عملى متوقف على الحادى ·· ولماذا القى بنفسى الى صراع انا فى غنى عنه ومالى لا ابعد مشاعرى عن هذا الامتحان ؟ قد أجوزه واظل على الحادى اوقد أرسب وأعود الى الايمان · ويومئذ وداعا للكاديلاك والملابس الانيقة والعيش السعيد ·

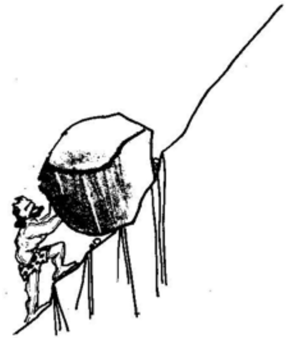
وبعد أيام التقى الصديقان فى بهو الفندق :

ـ أراك تنهى اقامتك بالفندق

ـ عائد الى بيتى

هل أديت العمرة

ـ لم يتسع الوقت



سيزيف والصخرة

جاء في الاساطير أن الآلهة قضت على سيزيف بالصعود الى أعلى الجبل وهو يدفع أمامه صخرة · وقضت الآلهة ألا تستقر هذه الصخرة في أعلى الجبل أبدا · فكلما صعد بها سيزيف تعود فتنزل الى السفح ، ويعود سيزيف فيدفعها امامه الى أعلى الجبل ·

وفي يوم صعد سيزيف الى أعلى الجبل دافعا أمامه الصخرة وتركها وعاد لينام وكان قد تعود أن يستيقظ مع فجر كل يوم ليجد الصخرة التي وضعها على القمة في أمسه قد عادت الى السفح مع الفجر · ومع انبثاق النور يعود سيزيف فيدفع الصخرة الى أعلى الجبل ويستغرق منه هذا الجهد اليوم جميعه حتى الهزيع الاول من الليل ·

وفي هذا اليوم صعد كشأنه وترك الصخرة · ونزل لينام ولينتظر الصخرة لتعود فيدفعها في باكر الصباح ·

وأشرق الفجر · ولا يدري سيزيف لماذا راح ينظر حواليه فوجد انه يعيش في أجمل مكان في العالم فحوله الجداول الرقراقة والاشجار اليانعة والحدائق الغناء والطيور تستقبل النهار بموسيقى سماوية وتودعه بمواكب حافلة من الانغام · وتعجب سيزيف انه لم يلتفت الى هذه الجنان حواليه الا في يومه هذا وأسف لهذا القضاء الذي فرضه عليه قدره وتمنى أن تتاح له الفرصة أن يستمتع بهذا الهناء الذي يرف حواليه ولا يصيب هو منه شيئا حتى ولا متعة النظر · كان قد مر عليه عشر سنوات وهو راضخ لقدره طائع له مستسلم غير متبرم به ولا هو ضجر · ولكنه في يومه هذا كان يتمنى لو كان قدره أكثر رفقا به ·

قام الى الصخرة ومد يديه دون أن يكلف نفسه عناء النظر ولكن يديه بالهواء استقبلتا ونظر فاذا الصخرة ليست فى السفح وتشوف القمة فاذا الصخرة راسخة هناك لم تنزل · جن جنونه من الفرح وصعد الجبل وثبا وفى مثل اللمحة الخاطفة كان واقفا هنـــاك · الصخرة ثابتة حيث تركها فى الامس · اذن فقد أفرجت عنه الآلهة·

جرى الى الجدول الرقراق وراح ينقع نفسه فيه ويصب ماء صبا · وغسل ثوبه فاذا هو يعود جديدا كأنما لم تعمل فيه السنون بيديها· وبحث عن حجر وراح يسنه حتى أصبح قاطعا وراح يحلق ذقنه فهى ناعمة · ثم استقبل الجنة التى حواليه وراح يأكل مما بها من فواكه رائعة ·

وما أن غذ فى السير حتى وجد أطفالا يلعبون عليهم ثياب نظيفة وفى وجوههم مرح ونعيم وسألهم :

— ماذا تعملون هنا

— نلعب

— الكم بيت

— طبعـــا

— أين

— فى هذه القرية هناك

اذن فبجانبه قرية أيضا قصد اليها فاذا من بها يلتفون حوله

— من أنت

— سيزيف

— صاحب الصخرة ؟

— نعم

— لست به

— بل اننى هو

— سيزيف أشعث أغبر قذر الثياب طويل اللحية مكثر لا يعرف الضحك طريقا الى وجهه ·

— لقد عفت عنى الاقدار

— والصخرة

— فى أعلى الجبل

— ولم تنزل

— بل هى باقية حيث ارسيتها بالامس

— اذن لنقيمن لك عيدا

— ولكنكم لا تعرفوننى ·

— بل نعرفك ·· كنا نرقبك طوال السنوات الماضية

— لم أر احدا منكم

— كنت مشغولا عن الدنيا جميعا

— اذن فهل اطمع أن أكون واحدا منكم

— كن

— واقيم العيد وضج المكان بالموسيقى والرقص ·· وفى اثناء لرقص وقعت عينا سيزيف على فتاة كانت تبدو امامه كنجمة مجنحة هبطت من السماء فيها أشعاع حلو ريان ينساب جسمها كحلم وسنان وهى ترقص كملاك وتبتسم كأمل وتغنى وكأنها أمنية تتحقق ·

— ما اســـمك

— سيفيليا

— زوجة انت لا شك

— بل لست زوجة

— كيف ·· أهذا الجمال جميعه لم يجد الزوج ·

— يبدو ان السماء تريدنى لغير من طلبنى

— ترى اترضى بى السماء زوجا لك ؟

— انى ارضى

— اذن فالسماء ترضى

وكان الزواج وعاش سيزيف أجمل فترات حيـاته وانجب من سيفليا ابنا وابنة وكان دائما يسأل أهل قريته ·

— عمـــلا

— ولكن لا عمل لك

— ابدا

— لقد وزعنا الاعمال من قبل مجيئك وهكذا ضاق سيزيف بالفراغ ووجد نفسه يذهب الى الصخرة يدفعها عن الجبل ولكنها كانت ثابتة لا تريد حراكا فاتى بفأس وراح يضرب حواليها حتى وهنت

جذورها ودفعها فسقطت الى السفح ومنذ ذلك اليوم اصبح عمله كل يوم أن يدفع الصخرة الى القمة طوال اليوم وفى اليوم الثانى يدفعها الى أسفل ثم يعود فيصعد بها الى أعلى ·

وعجب ابنه وابنته · فتشجع أبنه وسأله :

ابن ماذا تفعل ؟

– أعمـــل

– ولكن بلا فائدة

– كيف تقول هذا ؟

– لا ارى نتيجة لعملك

– النتيجة الوحيدة اننى اعمل

– اليس لكل عمل فائدة

أريد أن يوجد العمل اولا

يوجد العمل اولا

– حتى ولو كان بلا هدف

– لو فكرت يابنى قليلا ·· لو فكرت لوجدت الهدف ·· اتراك وجدته ·· لايهم ··· سوف تجده ·





النابغة

لم يكن يتصور حين ادخل نادية المدرسة الابتدائية أنه سيطيق دفع المصروفات لها حتى تواصـــل تعليمها · ومن أين وهو يعمل ساعيا بوزارة الحربية مرتبه عشرة جنيهات · وقد أدخل محمدا ابنه الاكبر الى المدرسة كما أدخل ابنه الآخر عبد الكريم · وحين جاءت نادية عزم في نفسه أن تبقى في البيت لتساعد أمها عيشة على شئون البيت · ولكنهـا حين بلغت السابعة كانت عبئا على الام بدلا من ان تكون عونا لهـا ·

ـ ادخلها المدرسة ·
ـ وبعد المدرسة ·
ـ تقعد في البيت ·
ـ وان عجبها الحال ·
ـ يحلها ألف حلال ·
ـ ولو تعبت من أعمال البيت ·
ـ هي الآن أكثر شيء يتعبني في البيت ·
ـ تدخل المدرسة ·
ـ آم ··· تدخل المدرسة ·

ودخلت نادية المدرسة · وكأنما كانت شيطنتها وهي في البيت تنتظر الشرارة لتتفجر فانفجرت · انفجرت مذاكرة فهي الاولى دائما· وبدلا من أن تعاند أخويها وتغيظهما انهما يتقويان في دروسهما بينما تنتهب هي الدروس انتهابا كانت تترضى كلا منهما وتتخاضع لهما في الحديث ليشرحا لها ما يعجز المدرس أن يشرحه · فالمدرس لم يكن يشرح شيئا وهي لم تكن تفهم من المدرس شيئا والمدرس ونادية كلاهما معذور · فقد كانت المدرسة لا تملك الفصـــول الكافية للتلاميذ · والوقت المخصص للدراسة من السابعة الى الثانية عشرة لان هناك تلاميذ آخرين تخصص لهم المدرسة من الثانية عشرة الى

الرابعة · فالمدرس تائه بتلاميذه يبحث لهم عن مكان وهو ملهوف ملوع يريد أن يرمي بدرسه قبل أن يدهمه موعد الجرس وبين اللهفة والقلق لا يفهم التلاميذ شيئا · ولم تكن نادية الا واحدة من أولئك التلاميذ الضائعين مع مدرسهم فلم يكن لها موئل الا أخواها محمد وعبد الكريم يشرحان لها ما في الكتاب · ذلك الكتاب المستكين بين يديها لا يبحث عن مكان يلقى فيه بدرسه ولا يخشى أن يدهمه الموقف وانما هو ثابت صابر ينتظر من يقرأه ومن يفهمه في هدوء ودعة وأمان ·

وكانت نادية تنظر الى زميلاتها اللواتي قعدن مع أمهاتهن في البيت فيزلزلها الرعب أن تصبح مثلهن · ثيابا متهرئة وشعرا أشعث أغبر وأقداما مفلطحة من طول ما عاشرت الطريق عارية · وهي تنظر الى المرآة فترى في وجهها مخايل وسامة وحين تنعم النظر لا تدري من أين جاءت لها الوسامة فعيناها لاسعة بهما ولا عمق ووجهها أكثر ميلا الى السمرة وفمها أكثر ميلا الى السعة وشعرها فيه انسياب ولكنه انسياب ساذج لا التواء به ولا ذكاء ولا حنايا ولا ثنايا · ولكنها مع ذلك كانت ترى في نفسها وسامة وكانت تشفق على هذه الوسامة التي لا تدري مأتاها أن يغولهـــا البيت والطريق الاغبر والاقدام العارية والملابس المتهرئة فهي الاولى دائما · ونالت الشهادة الابتدائية وخجل أبوها أن يتكلم في ابقائها بالبيت فهي الاولى وهي أكثر نجابة من ولديه فهي اذن في الاعدادية · ويصرخ الاب ·

ـ تعبت ·
ـ وأنا تعبت ·
ـ مرتبي لم يزد الا جنيهين ·
ـ وأنا كبرت وأريد من يساعدني ·
ـ اتستطيع نادية أن تساعدك ؟
ـ ولماذا لا تستطيع ؟
ـ أصبحت بنت مدارس ·
ـ ولكنها تستطيع أن تساعدني ·
ـ كيف نقول لها ؟
ـ انك أبوها الست كذلك ؟

– وأنت أمها ألست كذلك ؟
– أنت رب البيت ٠
– وأنت ربة البيت ٠
– لا تخالف لك أمرا ٠
– ولا تخالف لك أمرا ٠
– يظهر أننا نخاف أن نكلمها ٠
– نعم ٠
– وبعد ٠
– الخيرة فيما اختاره الله ٠
– والبيت وتعبى ٠
– أصبر أنا على الضنك وقلة المال وتصبرين أنت على عمل البيت وليكن ما يكون ٠
– تخاف من ابنتك ٠
– لا تعيرينى ولا أعايرك ٠

واستمرت نادية فى المدرسة وواصلت نجاحها فى المرحلة الثانوية ٠٠ وفى المرحلة الثانوية راحت أنوثتها تتبلور معها فهى تتفجر فى كل يوم عن جديد والفتاة تستقبل أنوثتها فى شوق عارم مفتوحة الذراعين تواقة الى كل نأمة جديدة من أنوثتها الوافدة ٠ كانت تريد أن ترغم ثيابها على اظهار أنوثتها ولكن ثيابها لم تكن تطيعها فهى ثياب رخيصة وتفصيلها مجانا والانوثة تحب أن تختار القماش وتختار التفصيل وبين ضيق ذات اليد من الاب ورغبة نادية العارمة فى اظهار أنوثتها تنكمش الثياب خجلة حائرة لا تدرى ماذا تستطيع أن تفعل لترضى صاحبة الانوثة الجديدة ٠

كانت نادية تحاول مع ثيابها ما وسعها الجهد فهى تضيق الحزام حتى لتكاد أنفاسها تختنق ولكن لا يهم فان الحزام حين يشد يسمح للجزء الهام من الصدر أن ينفجر الى أمام وللجزء الهام من الظهر أن ينفجر الى وراء ويظهر من الجسم الفتى ما تحاول الثياب أن تطمره فى رخصها ٠

هناك عينان تتبعان نادية فى كل يوم حين تذهب الى المدرسة وحين تعود ٠ بل ان هذين العينين تراصدانها كلما تبدت فى

الطريق ٠ كانت العينان نافذتين ولم تكن نادية تستطيع أن تغفل حدة النظر التى توجه اليها منهما ٠ كانت ترى فيهما نوعا من الجرأة وكأنما كانت العينان تجسان كل مكان فى جسمها وكان فيهما انتظار ولم تكن نادية تفهم سببا لاى من هذه المعانى التى تتواثب من العينين ٠ فلو كان صاحبهما شابا فى ريق العمر أو حتى شابا فى أواخر الشباب لكان لهذه النظرات معنى ٠ ولكن أن تصدر هذه النظرات من حسين بائع السجائر الذى يكبر أباها فى السن فهذا أمر لم تستطع أن تفهمه أبدا ٠

وفى يوم ٠
– تعالى يا نادية ٠
– نعم يا عم حسين ٠
– يعنى يابنتى تفوتين ولا سلام ولا كلام ٠
– أراك مشغولا يا عم حسين ٠
– ومهما أنشغل يا بنتى هل يمكن أن أنشغل عنك ٠
– كتر خيرك يا عم حسين ٠
– لقد شلتك على كتفى يا نادية ٠
– عارفة يا عم حسين ٠
– كنت قبيحة ولا يحب أن ينظر اليك أحد ٠
– أهكذا يا عم حسين ٠
– سبحان مغير الاحوال من كان يظن ٠٠٠ من كان يظن ٠
– ماذا يا عم حسين ٠
– يا بنت ألا تعرفين ما أريد أن أقول ؟
– لعلى أعرف وأريدك أن تقول ٠
– آه من البنات اليوم يا عالم ٠
– ماذا فعلن يا عم حسين ؟
– مصيرى معهن الى الجنون والله ٠
– ومالك ولهن يا عم حسين ؟
– وهل لى شغلة غيرهن ؟
– أنت يا عم حسين ٠
– آه أنا ٠٠٠ وماذا فى هذا ؟

- لا شىء يا عم حسين ولكن ألا ترى نفسك كبيرا بعض الشىء على بنات اليوم .
- يا بنت اصحى .
- صاحية وحياتك يا عم حسين
- لا وشرفك ... نائمة فى العسل نوما وأين العسل ... نائمة فى البشر نوما .
- لماذا يا عم حسين ؟
- اهذا يليق .
- ما هو الذى لا يليق ؟
- هذا الجسم المرمرى ... هذا الجمال العجيب يلبس هذه الهلاهيل .
- وبعد يا عم حسين .. أنت تعرف البير وغطاه .
- ملعون أبو البير على غطاه .
- وماذا أفعل ؟
- أسمعى كلامى .
- وهل قلت شيئا .
- لى أصدقاء .
- لك أنت ؟!
- يجعلونك تلبسين الحرير ... لا تلبسين الا الحرير .
- أبرد يا عم حسين .
- والصوف الانجليزى فى الشتاء .
- هكذا مجانا .
- مجانا وشرفك .
- ما دخل شرفى فى الموضوع يا عم حسين .
- شرفك مصون ... اسمعى كلامى .
- حرام يا عم حسين .
- اذا غيرت رأيك أنا تحت أمرك .

ونالت نادية شهادة الثانوية العامة . وفى الصيف كانت كلما مرت بعم حسين ألقت اليه ابتسامة وتحية من بعيد . ان هاجسا فى نفسها كان يهمس لها الا تقطع المفاوضات بينها وبين عم حسين .

وانتهت أشهر الصيف ودخلت الى الجامعة ... ان لها زميلات من المدرسة الثانوية ذهبن معها الى الجامعة ... تعرفهن وتعرف ملابسهن وهن فى المدرسة الثانوية ... ما هذا الذى ترتدين ..

- كيف .
- انت هبلة .
- هبلة ؟
- الا تعرفين كيف ؟
- آه فهمت . فهمت .
- أخيرا .
- وعند الزواج .
- بثمن فستان نجرى عملية .

وحين عادت فى ذلك اليوم وقفت مع عم حسين دقائق ... لقد كان الهاجس فى نفسها صادقا معها ... لقد أحسنت صنعا انها لم تقطع المفاوضات .







السباحة فى الرمال

كان البحر هادئا ولكن الشباب الذى يسبح فيه خائر القوى فهو يرفع رأسه يلقف نفسه ثم يغوص رأسه مرة أخرى فيمد يديه لاتجـدان الا الفـراغ وتهويان مرة أخرى خائرتين الى الميـاه ويعود رأسه يشرئب فى يأس ويهوى فى عجز الى الماء ٠

أنا لا أجيد السباحة ٠ لو حاولت أن أنقذه مت أنا وهو لامحالة نظرت حولى فوجدت شابا فتيا يجلس فى زورق على الرمال ويحـرك مجدافين فيمسـان الرمال فى رفق ثم يرتفعان الى الهـواء والفتى ماض فى عمله هـذا كأنما يجدف فى الماء وكأنما يفضى الى مكان يعرفه فان نظرت اليه خيل اليك أن الهدف أمامه واضح لاشك فيه ٠

وارتفع صوت الفتى الذى يغرق فى اليم ٠٠٠ ارتفـع فى يأس يطلب النجدة ومزقت صرخته كل نفس ولكن الفتى فى الزورق لم يلتفت اليه وظل يجدف وكأنه فى عالم آخر ٠

ــ ألا ترى هذا الذى يغرق ؟

ــ أراه وأعرفه ٠

ــ أتعرفه ؟

ــ انه أبى ٠

ــ أبوك ؟!

ــ وأخى ٠

ــ وأخوك ؟!

ــ وأمى ٠

ــ وأمك ؟!

ــ وزوجتى ٠

ــ وزوجتك ؟!

ــ وابنى ٠

ـ وابنك ؟!
ـ وابنتى ٠
ـ وابنك ؟!
ـ وكل ماضى وكل مستقبلى ٠
ـ فلماذا لا تذهب اليه بالزورق ؟
ـ هذا الزورق لايسير فى الماء ٠
ـ ان الزورق لم يخلق الا للماء ٠
ـ ولكن هذا الزورق لايسير فى الماء ٠
ـ وانت ألا تستطيع أن تنقذه ٠٠٠ ألا تستطيع أن تعوم ؟
ـ أنا أحسن سباح فى العالم ٠
ـ فلماذا لا تنقذه ؟
ـ أنا لا أسبح الا فى الرمال ٠
ـ ان الرمال لم تخلق للسباحة ٠
ـ وهل خلق الماء للسباحة ؟
ـ ان السباحة هى التى خلقت للماء ٠
ـ فانقذه ٠
ـ لا أستطيع ٠
ـ لماذا ؟
ـ ان أحدا لم يدعنى ٠
ـ هأنذا ادعوك ٠
ـ ومن أنت ؟
ـ بشر ٠
ـ ولكن ماشأنك ؟
ـ انسان يغرق ٠
ـ وهل أنت مسئول عن كل انسان يغرق ٠
ـ اننى مسئول عن كل انسان ٠
ـ من الذى ألقى عليك هذه المسئولية ؟
ـ انسانيتى ٠
ـ مغرور ٠
ـ أهذا وقت النقاش ؟

ـ انه وقت النقاش ٠
ـ أبوك وأمك وزوجتك وابنتك وأخوك وماضيك ومستقبلك جميعهم يغرقون وانت تناقش ٠
ـ أنا لا أعرف الا النقاش ٠
ـ فاعطنى هذا الزورق ٠
ـ قلت لك انه زورق للرمال فقط ٠
ـ اعطنيه ولا شأن لك ٠
ـ لا تستطيع الاقتراب منه ٠
ـ سأحاول ٠
ـ لا تحاول ٠
ـ بل لابد أن أحاول ٠

واقتربت من الزورق ولكن شيئا جعلنى أقف ولا أستطيع الاقتراب من الزورق ورحت أدفع جسمى بكل قوتى ولكن بدون جدوى والفتى فى الزورق يجدف وكأن شيئا لايحدث والفتى فى البحر يغرق ويصرخ من حين الى آخر ولكن بلا جدوى هو الآخر ٠

ـ أنا لا أستطيع فعلا أن اقترب منه ولكنك أنت فيه فلماذا لا تنزل به الى البحر ٠
ـ لقد أجبتك ٠
ـ حاول ٠
ـ لا أستطيع ٠
ـ ويغرق هؤلاء جميعا ؟
ـ أنا افعل كل ما أستطيع ٠
ـ أنت تجدف فى الرمال ٠
ـ هذا هو كل ما أستطيع أن أصنعه ٠
ـ سأصرخ ٠
ـ اصرخ ٠
ـ لعل أحدا يسمعنى ٠
ـ سيسمعك الكثيرون ولكن أحدا لن يجيب صراخك ٠
ـ لماذا ٠٠٠ ماذا يجرى للناس ؟
ـ ان انقاذه فى يدى أنا وحدى ٠
ـ فلماذا لا تنقذه ؟



[redacted]

ـ أنا أفعل كل ما استطيع ٠
ـ أنت لاتفعل شيئا ؟
ـ هذا هو كل ما أستطيع ٠
ـ انه فى البحر وانت على الشاطىء ٠
هذا قدره وقدرى ٠
ـ لا تتكلم عن القدر ٠
ـ انه قدره وقدرى ٠
ـ الجبناء وحدهم الذين يرمون أخطاءهم على القدر ٠
ـ المنطق العادى يحكم أفكارك ٠
ـ وانت هل لك منطق ؟
ـ اننى استخدم منطقى هنا ٠
ـ وهل منطقك يجعلك تملك الزورق ولاتنقذ به أحدا ؟
ـ لان هذا الزورق خلق للرمال فقط ٠
ـ أهذا منطق ؟
ـ منطق لا تعرفه ٠
ـ منطق جديد ؟
ـ جديد أو قديم ٠٠٠ لا أدرى وانما هذا هو المنطق الذى أعرفه
ـ ويغرق فى البحر ٠
ـ لعله ينقذ ٠
ـ كيف ؟
ـ اذا قدر له أن ينقذ فسوف ينقذ ٠
ـ كم كنت أرجو أن أكون قادرا على انقاذه ٠
ـ وما الذى يمنعك ؟
ـ لا أعرف السباحة ٠ أو أنا على الاقل لا أجيدها ٠
ـ فحاول ٠
ـ واذا غرقت معه ؟
ـ تكون قد ارضيت ضميرك ٠
ـ وضميرك أنت ؟
ـ لا شأن لك بضميرى ٠٠ ارح أنت ضميرك ٠
وهممت أن أنزل الى الماء ولكن ثقتى اننى لا أجيد السباحة ردتنى ونظرت الى الفتى يغرق ونظرت الى الفتى يجدف فى الرمال وأوليت الجميع ظهرى وانصرفت ٠٠

لقد كانت المعركة بيننا وبين قبيلة غطفان غاية في العنف · وقد أصبنا منهم مقتلة عظيمة وما كان هذا الا لغياب بطلهم الصنديد رافع بن عدى · ولاشك انهم ينتظرون يوماقريبا ينالون فيه ثأرهم ، والقبيلة منذ ذلك الحين مشغولة فيما يمكن ان تصنعه حتى حتى تتهيأ لهذا اليوم المنتظر القريب · وقد اجتمع شيوخ القبيلة يفكرون واجتمع معهم الشباب وراح كل منـــا يدلى برأى ولكن ما أسرع ما كانت هـــذه الآراء تواجه بالنقاش ·

— نهاجر ·

ويقول شيخ القبيلة فى عظمة واعتزاز ·

— حتى نصبح أحدوثة بين العرب ··· ونترك ديارنا خوف عدو دحرناه وانزلنا به الهزيمة الماحقة ··· اذا نحن هاجـــرنا يكون العدو هو المنتصر ··· ويصبح النصر الذى أحـرزناه أعجب نصر فى التاريخ · سيكون نصرا ترتبت عليه آثار الهزيمة ·

— ولكننا ان واجهنا العدو ونيران الثار تغلى فى دمائه ومعـــه البطل الذى كان غائبا عنه فانه سيصيب منا قتلى كثيرين ونخسر النصر والدماء فى آن معا ·

— ان دماءنا لاشىء ··· انها ما خلقت الا لتحمى كرامتنا وشرفنا يا شيخ القبيلة ·

— الدماء دماء أب أو أخ أو زوج أو ابن ··· انها دماء عزيزة

— فى سبيل النصر يصبح العزيز رخيصا ·

— فان بذلنا الدماء ولم نحقق النصر ·

— لهذا اجتمعنا ·

ويقول رأى آخر ؟

— مالنا لانناشد قبيلة عاصم فان بينها وبيننا أخـــوة قديمة

يقول الشيخ ·

— وما يجعلها تحارب قبيلة غطفان وليس بينهما عداوة وقبيلة غطفان قبيلة كثيرة العدد موفورة الحظ من القوة والبأس ·

— اليست الاخوة كافية لتقف قبيلة عاصم الى جانبنا ؟

— كنا جديرين أن نأخذ بهذا الرأى لو كان هناك عداء بين قبيلة عاصم وقبيلة غطفان ··· أما أن تثير قبيلة عاصم العداء عليها بلا داع اليه فهذا ما لا يفعله أحد ·

ويقول شيخ من القبيلة فى تؤدة ووقار :

— ان ما يلزمنا يا شيخ القبيلة هو فتى فى مثل قوة رافـع ابن عدى يجعل انتصارنا على العدو مؤكداً ·

ويصمت الجميع ويتكلم شيخ القبيلة بعد تريث وتفكير ·

— بالصواب نطقت ولكن من أين لنا به ·

ويصيح شاب من القبيلة ·

— ان العراف ···

وتقاطعه أصوات كثيرة ·

— هل ضعفت ؟

— ما للعراف وهذا ·

— انك تخرف ·

ويقول شيخ القبيلة ·

— دعوا الفتى يكمل حديثه ·

ويسود الصمت هنيهة ويعود الشاب الى حديثه ·

— ان العراف يمر بالقبائل جميعها وهو يعرف من أخبارها مالا نعرف فلماذا لانقصـــد اليه نسأله أن يدلنا على بطـل من أبطال العرب يكون كفئا لرافع بن عدى ·

ويصمت الشاب ويعود الصمت الى التحليق ويقول شيخ القبيلة

— الرأى ما قلت ··· اذا كان الغد نذهب الى العراف ·

وينفض الاجتماع ولكن شابا من شباب القبيلة يمكث حيث هو لا يريد ان ينصرف ··· وانما يظل رانيا الى شـــيخ القبيلة فى استعطاف ولهفة وانا أنظر اليهما لا اريد أن أنصرف أو اســـمع الحديث بين الشيخ والفتى · فأنا أعرف ما يريد سليمان أن يقول وأريد أن أعرف كيف سيجيبه شيخ القبيلة · يظل الفتى رانيـــا

وشيخ القبيلة يتظاهر بانه لايراه وانما هو يحول عنه بصره فى ضيق حتى اذا فشل سليمان فى أن يجعل الشيخ يسأل ما يريد جمع كل مافيه من شجاعة وتقدم الى الشيخ ·

ـ وبعد يا عماه ؟

ـ وبعد فيم يا سليمان ·

ـ الا تعرف ؟

ـ كانى أعرف ·

ـ فما انصرافك عنى كلما أردت أن أكلمك ·

ـ أهذا وقته يا سليمان ؟

ـ قبل الحرب كنت تقول بعد الحرب وها قد انتهت الحرب ·

ـ أترى الحرب قد انتهت ·

ـ لقد انتصرنا ··· الم ننتصر

ـ ففيم اذن كان اجتماعنا هذا

ـ لنؤمن النصر ونتأكد منه ·

ـ فاذا أمنا النصر وتأكدنا منه يحق لك أن تقول وأن أسمع ·

ـ يا عماه سنوات ثلاث مررن ·

ـ أو عشر ماذا أفعل ·

ـ أعقدها لى عليها ·

ـ فماذا تقول القبيلة ؟

ـ تقول زوج ابنته من ابن أخيه ·

ـ والعدو يتربص بنا ·

ـ وهل لزواجى صلة بالعدو ؟

ـ انى شيخ القبيلة لا يجوز لى أن أفرح والقبيلة خائفة ·

ـ اذن ·

ـ انتظر ·

ـ الى متى ·

ـ الى قريب ··· الى قريب ان شاء الله ·

ويطرق سليمان ثم يلقى بنظرة حوله فلا يجد غيرى فيقوم الى يصحبني الى عريض الصحراء ·

ـ ما رايك ؟

ـ لقد اخترت موعدا لايصلح لهذا الحديث ·

ـ فاى موعد يصلح ؟

ـ حين ترى الامن يشيع بين القبيلة تقدم بطلبك ·

ـ ومتى يشيع ؟

ـ لا أحد يعرف متى يشيع الامن بين النفوس ·

ـ لا أحد يعرف ؟

وقال العراف :

ـ أعرف فتى لا حديث له الا الحرب وافعاله فيها وما خاضه من أهوال ·

ـ هل شهدته وهو يحارب ؟

ـ يا أخا العرب اننى عراف لا أشهد حــربا ··· هل رأيتنى أجىء الى قبيلتكم منذ نشبت الحرب بينها وبين غطفان ؟

ـ لا ·

ـ ان عملى فى الحياة هو الحياة والحرب عملهـــا الموت يا أخا العرب ان الموت والحياة لا يجتمعان ·

ـ اذن فمن هذا الفتى الذى يروى عن الحرب ؟

ـ غضبان بن صخر ·

ـ أتعرف مكانه ؟

ـ ادلكم عليه ·

وجاء صخر ··· شاهق هو الى السماء عريض الــكتفين ضخم رائع التكوين عظيم البنيان ··

ـ كم شهدت من حروب ··· وان عملى فيها بسيط ··· فاننى أتولى القيادة دائما وما هى الا ان أجيل السيف جولة أو جــولتين حتى يدرك الاعداء أنلا أمل لهم وما هى الا اغماضه فين أو انتباهتها حتى تكون الحرب قد انتهت ··· فى يوم من الايام نشبت الحرب بين قبيلة بهنس وفزارة ··· وكان البهانسة أصدقائى فأرسلوا الى رسولا ···

وقص غضبان وقص وكنت أحس مع كل قصة من غضبان نوعا من الامن والطمأنينه يشيع فى نفوس القبيلة فتشرق به وجوههم وسأل شيخ القبيلة ·

- ما أجرك ؟
- ما نوع الحرب ؟
- يريدون أن ينتقموا من يوم هزمناهم فيه .
- فهى شر أنواع الحرب .
- فلتكن ما تكون ما أجرك ؟
- أجمعوا لى خمسين ناقة سليمة لا عيب فيها ولا أود .
- وبعـــد ؟
- أرسل النياق الى أهل بيتى ثم أقيم معكم حتى يوم الكريهة .
- أتأخذ النياق قبل الحرب .
- هكذا تعودت .
- ليكن لك ما أردت .
- وانى أحب أن أشرب الصبوح والغبوق .
- وخمر أيضا .
- لا أعيش بغيرها .
- ولك ذلك .
- أما افطارى فقعب من اللبن واناءمن السمن وعشرة أرغفـــة وغدائى شاة وعشائى ...
- وعشاء أيضا ؟!
- ان لم آكل فكيف أحارب ؟

وعشاؤك ؟

- لا أحب أن أثقل فى العشـــاء حتى يحسن نومى . نصف شاة تكفى .
- لك ما أردت .
- والنصر مؤكد لكم .
- وأقام غضبان بيننا يروى عن أعماله ... وانصرفت القبيلة جميعها الى أعمالها فقد آمنوا أن الحرب لن تنال منهم شيئا مادام معهم غضبان ولم يعد حديث الحرب يدور بينهم الا اذا جلسوا حول غضبان يسمرون ويستمعون الى أحاديثه عن حروبه التى لا تنتهى وكنت جالسا الى جانب سليمان حين التفت الى فجأة .
- لقد شاع الامن فى النفوس .

نظرت اليه ثم قلبت نظرى فى وجوه القبيلة ... نعم لقـــد شاع الامن .

- نعم لقد شاع الامن .
- لقد صدق قولك ... لا أحد يعرف متى يشيع الامن .
- نعم ... لا أحد يعرف .
- لقد شاع الامن مع أن الحرب لم تنته .
- تستطيع اليوم أن تتقدم الى عمك .

كان الفرح عظيما ... واجتمع الحبيبان بعد طول انتظـــار وفرحت القبيلة باجتماعهما فقد طالت بهم فترة القلق والخـوف وكانت النفوس منهم تهفو الى فرح ... أى فرح أكان فـــرح بنت شيخ القبيلة ... ومرت شهور طويلة على العـــروسين وبشرت العروس بمقدم طفل يحبو فى اثباج الغيب . ورفرفت السعادة على القبيلة لايذكر هم بالحرب الا وجود غضبان بينهم يروىعن بطولاته ويتناول مأكله الدسم وان كان هذا المأكل لم يصبح له وحده وانما كان يشاركه فيه كثيرون من أبناء القبيلة فقد اتضح منذ اليـــوم الاول انه ليس أكولا نهما كما أحب أن يصور نفسه لابناء القبيلة . وان كان فى شرب الصبوح والغبوق يكثر ولكن أكثاره ما يلبث أن يتحول الى أحاديث يمتع بها مستمعيه من أبناء القبيلة . ولعلهم من أجل هذا كانوا يلحون عليه أن يستمر فى الشراب كلما أحب أن يكتفى .

لقد نشا بين غضبان وأبناء القبيلة جميعـــا نوع من الالفـــة والحب والاكبار من جانبهم والايناس من جانبه .

حتى كان يوم فوجئنا فيه بنعمان أحد تجار القبيلة يدخـل الى أفناء الخيام يركض فرسه كالسهم النافذ ... وقبل أن يـوقف فرسه صاح :

- لقد جاء اليوم .

وما هى الا لمحة من بصر حتى كانت القبيلة جميعها حوله .

- كنت فى السوق فرأيت جماعة كبيرة من النـــاس وسمعتهم يذكرون اسم قبيلتنا فلم أشعر شيئا وجئت أسابق الريح .
- متى تظنهم يصلون ؟

– قبل أن تغرب الشمس

وصاح شيخ القبيلة :

– يومك يا غضبان .

ونظر الجميع الى غضبان ... لم يكن غضبان هذا الذى نرى ... لقد امتقع وجهه فهو أبيض ناصع البياض ... وزاغت عيناه فهى هاربة فى حفائرها كأنما تريد أن تغور داخل رأسه .. بل جسمه الشاهق الضخم أصابته الضآلة فهو بعض من جسم .

غضبان جميعه بعض من انسان ... وقال لسانه وهو يتعثر فى فمه .

– بل هو يومكم انتم .

– يومنا نحن بقيادتك .

– أنا لم أحارب فى حياتى .

– ماذا ؟

انطلقت صرخة ذاهلة من الجميع ... واستغلق الامر لحظات على شيخ القبيلة ولكنه سرعان ما تماسك ونظر الى غضبان ثم قال فى تؤدة ووقار :

– احبسوا هذا الرجل حتى تنتهى الحرب ثم نرى فيه رأينا .

وخف الى غضبان بضعة فتيان كنت منهم وكان معى صديقى سليمان ولم يلتفت غضبان الى أحد منا وانما نظر الى سليمان وقال فى تؤدة :

– أما أنت يا سليمان فلا .. أنت لا أجيز لك أن تقيدنى .

وبهت سليمان لحظات ولم يدر ما يقصده غضبان الا أنه ترك الحبل من يده وتولينا نحن قيد غضبان والقينا به فى خيمته وقد لاحظت عليه شيئا غريبا .. لم يعد ذلك الشخص الذى كأنه منذ لحظات ... لقد بارحه الخوف وعادت اليه الطمأنينة التى عهدناها فيه ولو لم نكن مشغولين بالجيش الوافد ولو وجد منا آذانا صاغية لراح وهو فى قيده يقص علينا بطولاته فى الحروب التى خاضها .

***

راح شيخ القبيلة يستعد للحرب فالقبيلة جميعها تهيء السيوف

وتعد الخيل وشيخ القبيلة يحدد لكل منهم موقعه وما عليه أن يفعله .

وجاءت الجيوش آخر الامر .. وبادرنا نلتقى بها قبل أن تصل الى الخيام وكانت مفاجأة لم تخطر لنا على بال .. لم تكن جيشا لقد كانوا جماعة من قبيلة عاصم لم يتبين نعمان حقيقتهم فقد هيأ له الخوف أنهم جيش غطفان وما لبث شيخ قبيلتنا أن رحب بشيخ قبيلة عاصم ودعاه هو ومن معه الى الخيام لينال الراحة والضيافة .

لقد جاء شيخ عاصم ليعقد صلحا بيننا وبين قبيلة غطفان وذكر ما طلبوه من دية وكانت مائتى بعير ولم ينتظر شيخ عاصم حتى نبحث الامر بل سارع يقول :

– واني أقدم من عندى خمسين بعيرا هدية منى اليكم حتى يعود السلام الى الربوع .

وقبلنا الصلح فما أعظم أن ننتصر وندفع ثمن نصرنا هذا العدد من الجمال .

***

– فانت اذن ياغضبان كنت تسرقنا .

– أنا يا شيخ القبيلة ؟

– الست أنت من أخذ الخمسين ناقة وأقمت ..

وقاطعه غضبان ..

– لا تذكر المآكل والمشرب يا شيخ القبيلة فانك أكرم من أن تذكر مثل هذا .

وصاح سليمان :

– ليكن ... فماذا أنت قائل عن الخمسين ناقة .

وقال غضبان :

– اسكت أنت يا سليمان .

– عجيب أمرك معى .. رفضت أن أقيدك وأنت الآن ترفض أن أحاسبك ... ما شأنك معى .. ؟

– انك أكثر أبناء القبيلة انتفاعا بما قدمت .

– لم تقدم الا الاحاديث المزوقة وأخبار الحروب الوهمية التى خضتها والبطولة الزائفة التى ادعيت أنك صاحبها .

ونظر غضبان لحظات الى سليمان ثم راح يجيل عينيه فى أبناء

القبيلة فوجد عيونهم جميعا تنتظر جوابه ونكس راسه هنيهة ثم رفع راسه فى هدوء وثقة .

- لقد قدمت اليكم بهذه الاحـــاديث أعظم ما كنتم تفتقدونه ولا تجدونه .

- أنت ؟

- قدمت اليكم الامن .. قدمت اليكم الاطمئنان .

وكأنما كانت هذه الكلمة فى واد سحيق بعيد عن أذهان الجميع ... نظر أبناء القبيلة بعضهم الى بعض ثم التقت عيونهم جميعا عند شيخ القبيلة فوجدوه صامتا صمت المفحم الذى لا يجد ما يقول واستمر غضبان فى حديثه موجها كلامه الى سليمان ما يزال .

- بهذا الامن وهذه الطمأنينة تزوجت يا سليمان وجد الفرح سبيله الى قبيلة كانت قبل أن أجيء مفزعة فى صباحها ومسائها طعامها قلق وشرابها شغل وتفكير .. أكثر ما أخذته منكم مقابل ما أعطيتكم ... لقد نلتم المقابل ... نلتموه كاملا ... أليس كذلك يا سليمان .



الحصان الذى نفق

لم يكن يسرى فقيرا فى القرية ولكنه كان تائها فى زحامها ، محتقرا بين أهلها لا يشعر به أحد رغم جهده الجهيد أن يشعر الناس به · فقد كان لا يترك وسيلة يذكر بها الناس انه حى ، وانه يسعى بينهم وانه ليس نكرة من النكرات الا سعى اليها حثيثا ، وقد كان يحصل دائما على هزء الناس والسخرية به الا انه لم يستطع قط ان يحصل منهم على ما يريد من شعور بوجوده وانه حى ·

ولم يكن غناه فادحا ، ولكنه ــ مع ذلك ــ كان يدعو الى الولائم فى كثير من الاحيان · وكان الناس يلبون دعوته ، ولكنهم ما أن يأكلوا ويتركوا بيته ، حتى ينسوا أمره ، وكأنه لم يكن ·

ولم يكن يسرى مؤمنا بالله ، وما كان يصلى ، ولكنه مع ذلك حريص على ان يشهد صلاةالجمعة مرتديا أجمل ما عنده من الملابس، لا ينسى ان يلبس رباط عنقه الاحمر ، مقتنعا ان اللون الاحمر أكثر الالوان استرعاء للانظار · ولكن الانظار ، مع ذلك ــ كانت تأخذه فهو موجود بغير وجود ، حاضر خير منه الغائب ·

وكان يسرى يحرص أيضا على ان يخطب الناس بعد كل صلاة جمعة · ولم يكن طبعا يستطيع ان يحدثهم عن عدم ايمانه · فهو مع كل حرصه على ان يذكر الناس بوجوده ، أكثر حرصا على أن يظل على قيد حياة ·· أية حياة ولو أنه اطلع الناس على ما يعتمل فى نفسه من عدمايمان ، لاصبح موته بأيديهم أمرا محققا ·

وانما كان يسرى يخطب الناس فى وجوب اعطاء الفقراء والمساكين والاحسان اليهم ، ولكن لم يقدر له أبدا ان يكمل خطبة الى النهاية

التى يريد ان ينتهى اليها · فما هى الا جملة وأخرى ، حتى يصبح المسجد فارغا من الناس أجمعين ·

فما كان أحد من أهل القرية ليلقى اليه سمعا ، وهم يعلمون أن الاحسان عنده كلام ، والشفقة بالمساكين عنده شقشقة ، وكفاهم دليلا على ذلك ما يعانيه منه عبد السميع ومحمدين وشفيق الذين يستأجرون أرضه · فان أحدا فى القرية لا يعانى من الفقر والذلة والهوان والقهر ما يعانيه هؤلاء الثلاثة الذين قدر لهم أن يكونوا اجراء عنده · ويا طالما عرضوا انفسهم على الملاك الاخرين ، ولكن احدا لم يستطع أن يغيثهم · فالمستأجرون فى القرية يرثون الارض عن آبائهم ولا يستطيع مالك ، بل ولا يحب ان يخرج أحدا من أرضه ليعطيها الى آخر ·

وقد ضاق محمدين بمالك أرضه يسرى ، وضاق بالقرية جميعا فتركها الى أرض الله ، ولم تعد القرية تعلم عنه شيئا ·

وظل عبد السميع وشفيق يستأجران أرض يسرىوحدهما ، بعد أن حاول أن يجد مستأجرا اخر بدلا من محمدين فذهبت محاولاته سدى ·

فالكلام منه اذن عن وجود الاحسان خليق ان يجعل أهل القرية سينصرفون عنه ، حتى أن لم يتوافر هذا السبب فقد كان أهل القرية سينصرفون عنه ايضا ، لانهم لا يشعرون ان له وجودا أو مكانا ·

كان هذا الشعور بالضياع والاهمال يملأ نفس يسرى ، ويجعل نفسه تفيض مرارة وحقدا ، فهو حاقد على كل غنى له بين القرية توقير واحترام ، وهو حاقد على كل متعلم يقول فيسمع الناس فى اقتناع واحترام · وهو أشد حقدا على المحترمين فى القرية دون ان يكون لاحترامهم سبب ظاهر الا أنهم محترمون · فقراء هم ولعل بعضهم لم يصب من العلم ألا قليلا ، ولكن أهل القرية يحترمونهم ، ويقصدون اليهم أن طلبوا الرأى ، وينزلون عندما يشيرون به ·

نار من الحقد تفتك به ·· نار من داخله · لا سبيل ان يصل اليها شىء ألا ما يزيدها أوارا واشتعالا ·

يخرج يسرى فى كل يوم الى ظاهر القرية ، وينظر اليها فى كره

شديد ، والم عميق ، ومرارة قاتلة · ويظل قابعا منزويا كوحش كبير يحاول أن يتربص باعدائه المصائب ، فتخذله الذلة ، ويقعد به الهوان

وبينما هو كذلك ، سمع جوادا يركض ، ويهز الارض باقدامه · واقترب الصوت واقترب ، حتى تكشف عن الحصان وراكبه ·· أما الحصان فمجنون أرعن ، واما صاحبه فخائف هالع ·

ـ أين أنا

ـ لا أدرى

ـ الا تعرف أسم القرية التى انت منها ·

ـ المنشية ·· من أين انت قادم ؟

ـ لا شأن لك ·· أتشترى هذا الحصان ·

ـ ماذا

ـ الم تسمع ·· لا وقت عندى للدلع ·

حصان ·· أيشترى هو حصانا ·

وما الباس ·· وأى شىء سيجعل أهل القرية يحسنون به خيرا من هذا الحصان ·· الحصان جاء ·· الحصان ذهب ·· ليس فى القرية من يملك حصانا ·· ولكنهم لن يقولوا يسرى جاء أو ذهب ·· الحصان فقط لا بأس ايضا ·· يكفى ان يذكرهم الحصان به ·

ـ ولكن هذا الحصان مخيف ·· اراه لا يكف عن الحركة العنيفة

ـ هذا دليل الحيوية ·

ـ الكثير منها يقتل ·

ـ أنت صاحبه ·· أخدمه يخدمك ·

ـ ولكن لماذا تريد أن تبيعه

ـ أهو تحقيق ؟

ـ لعلك سرقته

ـ والغرض ·

ـ قد يراه صاحبه فاخسره ·

ـ اسمع · الامر المؤكد أن صاحبه لن يحاول أن يسترده ·

ـ هاأنذا ·· أركبه أمامك ، واعرضه عليك ، ولا وقت عندى للكلام الكثير ، أتشترى أم أمشى ·

ـ أكم تريدفيه·

واشترى يسرى الحصان · وحاول أن يركبه فنفضه الحصان نفضة عنيفة الى الارض أحس معها ان عظامه تنسحق ، فسحب الحصان ومشى يتكفأ حتى بلغ منزله فى عتمة من الليل ، وأدخل الحصان الى حجرة نومه الخاصة ، وذهب الى حيث السكر ، فاحضر جميع ما فى البيت منه ·

وبعد اسبوع استطاع يسرى أن يركب الحصان ،بعد أن أنس اليه·

وفعلا بدأت القرية تتكلم عن الحصان ، ولكنها ـ كما توقع يسرى ـ لم تتكلم عن يسرى ·

كان يسرى يربط الحصان فى الغيط مع جاموسته ، ويذهب الى مايبتغى من اعمال · وبينما هو جالس فى بيته ·· اذا بشخص يعدو اليه ·

ـ يسرى ·

ـ نعم ·

ـ حصانك قتل عبد السميع ·

ـ ماذا ؟

حاول عبد السميع أن يركبه فجرى حتى القاه فى الترعة واغرقه، واصبحت الحكاية أحدوثة فى القرية لفترة طويلة · ويسرى سعيد كل السعادة بموت عبد السميع الذى جعل الناس يتحدثون عن حصانه كل هذا الحديث ·

كان الحادث فى القرية شيئا عظيما · فهو ريح شديدة العصف تمر على الماء الراكد من أثر الملالة · فالناس لا يجدون فى القرية ما يتحدثون عنه · فاذا مر بحياتهم حدث كهذا اصبح تاريخا يعتبر الذين عاصروه خالدين فى حياة القرية وتاريخها ·

ولكن حصان يسرى لم يترك لهم فرصة طويلة يلوكون فيها حادث القتل الذى ارتكبه · بل هو يعاجلهم

ـ يسرى ·

ـ نعم ·

ـ حصانك ·

ماله ؟

ـ فقأ عين عبد الشافى بن سعيد أبوعرابى ٠

ـ ماذا ٠

وفى هذه المره يذهب سعيد الى يسرى ، ويمسك بخناقه ، مقسما باغلظ الايمان انه قاتل الحصان ، او قاتل يسرى ٠٠ ويتجمع الناس ويحولون بين سعيد ويسرى ، وتبدأ المفاوضات ، ويسر سعيد فقد أحس الناس به هو اخيرا ٠ وها هم اولا يجتمعون حوله ، ويفاوضونه ويفاوضهم ٠

وتتوالى احداث الحصان ٠ فهو يقطع حبله ٠ ويعتدى على برسيم الاخرين وهو ينطلق فى القرية فى جنون أحمق يكسر ارجل الناس وابوابهم ، أو يوقع ما يعرشون به على بهائمهم ٠ أو يعتدى على هذه البهائم فيجعل اصحابها يعودون بها الى السكن ٠ ولعل أشد ما آلم الناس من الحصان وصاحبه ما فعله الحصان بالمصلى التى اقامها اجداد أجدادهم هناك عند مجرى النيل ٠ فقد دخلها الحصان ، فهدم قواعدها ، ومزق الحصير فيها ٠ ولعل هذا الحادث بالذات هو أسعد ما سعد به يسرى ، حتى لقد أغدق فى مساء هذا الحادث على حصانه من السكر قدرا لم يشهده الحصان من قبل ٠

أصبح يسرى هو شغل القرية الشاغل ، واصبح الناس يبتعدون عن مكان الحصان قدر جهدهم ٠ والقى الحصان على القرية ظلا من الرعب ثقيلا ٠ وليس افتك بالانسان من الخوف ، ولا يزرى بالانسان شىء قدر شعوره أن الذعر والهلع يحيطان به من كل جانب وما اشد الهول حين يكون العدو حيوانا أعجم ، لا يعقل ولا يفهم وانما يخرب لوجه الخراب بلا هدف ولا فكرة ولا غاية ينتهى اليها ، ويسرى سعيد ٠ فليمت الناس من الخوف او من الغضب ٠ فلقد اصبح هو شيئا يذكر ، ومقصدا يسعى اليه ٠

وفى يوم صحا يسرى من نومه ، وذهب مسرعا الى حصانه ٠٠ مجده وعزه وأمله الذى تحقق وذكره الذى ذاع واسمه الذى انتشر ماذا ٠٠ ؟ ما الذى جعل الحصان فى هذا الشكل الذى هو عليه لا يمكن ٠٠ غير معقول ٠٠ لقد مات الحصان ٠٠ مات كيف ٠٠ لايهم أمسموما مات ٠٠ لا يهم ٠٠ هل مات من كثرة السكر ٠٠ لا يهم ٠٠ لقد مات ٠٠ أحس يسرى أن اسمه هو هذا الممدد جسدا من غير

روح ٠٠ وعما قريب يصبح عدما بلا جسد ولا روح ٠٠ لا يمكن ٠٠ غير معقول ٠٠ ان حصانى لا يموت ٠٠ إنه لا يموت ٠٠ لا يموت ٠

وفجأة انتفضت فى جسم يسرى المرارة التى اختزنها قبل أن يعرف الحصان وانتشر فى جسده الحقد الذى دفنه فيه طوال عهد الحصان ، ووجد نفسه يحمل الحصان الميت ، ويخرج به من البيت، محطما باب البيت ، صارخا فى الناس ، وهو يعدو فى كل متجه ٠٠ إنه لم يمت ان حصانى لم يمت ان حصانى لا يموت ٠٠ لا يموت ٠٠ لا يموت ٠

وما هى الا صرخات قليلة ٠ ٠وخطوات اقل من العدو الاحمق العربيد المجنون حتى انهار يسرى ومن فوقه الحصان يكتم انفاسه القليلة الباقية ٠

واختلط الجسدان حتى لا يستطيع احد أن يستبين أحدهما من الاخر ٠ وقبل أن يدركه أحد تلحق روحه روح الحصان الذى نفق ، ويتجمع حوله اهل القرية ٠ ولا تلتقى نظرات ولا كلمات ، وانما يشيع أمن انسانى فارق الانسان فيهم حينا ثم عاد ٠





لحظة سعاده

كان سعيدا منشرح الصدر وهو يفكر ٠٠ كانت لحظة من هذه اللحظات القليلة التى يشعر فيها الانسان أن الحياة تعطيه بقدر ما يريد منها أن تعطيه ودون أن يدرى السبب راح يفكر فى السبب الذى بث فى نفسه هذه السعادة التى يشعر بها ومالبثت هذه الفترة أن بعدت عن مسار تفكيره ٠٠ وما لبث أن قال لنفسه انى سعيد لأنى سعيد ٠٠٠ وأخشى ما أخشاه أن أبحث عن أسباب سعادتى وانقلب بفعل يدى تعيسا وأسباب التعاسة دائما أكثر وفرة من أسباب السعادة ٠٠٠ وهل هذا كلام رجل سعيد ٠٠٠ انه كلام أى انسان ولكنك لست أى انسان ٠ انك رجل سعيد ٠٠٠ حسنا فلأظل سعيدا اذن دون محاولات سخيفة لتعميق أسباب السعادة ٠٠٠ هل هى قليلة لحظات السعادة هذه الى هذا الحد ٠٠ هل هى قليلة لدرجة أننى اقتنصها من الحياة اقتناصا ولا أحاول حتى أن أبحث أسبابها وما دعت اليه ٠٠٠ انى سعيد بزوجتى ٠٠ ولكن سعادتى بها لاتكون لى لحظات سعادة ٠٠٠ أنا أحبها وأعلم أنها تحبنى ٠٠ وهى شريفة بحكم تكوينها وهى تعمل دائما على اسعاد بيتها وليس بينى وبينها الا هذه المشاجرات التى تدل على أننا أحياء ولو أنها مشاجرات كثيرة وعنيفة فى بعض الأحيان مما ينبىء على أننا أحياء جدا ٠٠٠ ولكنها جميعا مشاجرات طبيعية لابد أن تنشأ بين اثنين نشأ كل منهما فى بيت ثم جمعهما بيت واحد يعلمان أنهما سيقضيان فيه ما بقى لهما من حياة ٠٠٠ قد تشعر هى بالضيق أحيانا أو قد يشعر هو بالضيق أحيانا وقد تكون هذه الأحيان كثيرة وقد تتلاقى هذه الأحيان من الضيق فتكون مشاجرة لو بحث كلاهما أو أحدهما عن سببها لاتضح على الفور مقدار سخافتها ٠

لماذا أفكر فى كل هذا ... من أجل لحظة سعادة ... ألم تكن لى لحظات سعادة كثيرة وأنا طفل ... لماذا يقول النـــاس طفولة سعيدة ... أظن السعادة هنا يقف وراءها الجهل .. انهم سعداء لانهم لايعرفون كيف يكونون تعساء ... ولكنى مع ذلك أذكر فى طفولتى لحظات سعيدة . والآن فقط أدرك أننى كان يجبأن أعتبر طفولتى سعيدة ... يبدو أن الأطفال يعتبرون ســعادتهم قضية مسلما بها لاتقبل النقاش .. فحياتهم مهما تكن سعيدة يعتبرونها هم عادية . ولا يذكرون منها الا لحظات السعادة الخارقة للعــادة ولحظات التعاسة العادية .. كانت لحظات سعادتى هى تلك الاوقات التى أقضيها فى قراءة القصص .. قصص الاطفال . كنت أحس أننى أعيش فى عالم آخر غير هذا الذى أعيش فيه .

لماذا يعتبر البعد عن العالم الذى أعيش فيه ســعادة ... لماذا يقول الناس هذا دائما كلما أحبوا أن يعبروا عن ســعادتهم .. هل العالم الذى نعيش فيه سيىء الى هذا الحد وان كان ســيئا أهو هكذا بالنسبة للأطفال ... لماذا يحبون أن يعبروا الى عوالم أخرى من قصص علاء الدين والسندباد وعلى بابا والاربعين حرامى وقصص الجان وغيرها وغيرها .

والكبار ... ألا يتشبثون بعالم آخر ... ما الحياة عندنا اذا كانت هى هذه الحياة فقط ... سبحان خالق الناس ... عرف نفوسهم وعرف حياتهم فوعدهم بحياة أخرى يلقون فيها السعادة التى لم يعرفوها من الدنيا ... ولكنى الآن سعيد ... لحظة .. أو لحظات ثم تعود الحياة حياة . أقصى ما أطمع فيه منها الا ترزأنى بلحظات تعاسة وتصبح أيام الملل والوتيرة الواحدة ســعيدة ... سعيدة لأنها ليست تعيسة ...

اننا نبحث فى حياتنا هذه عن السعادة من أى سبيل ... نرى السعادة فى نظرة الى أبنائنا ... فى أبنائنا ... فى ابتسامة على شفة لهم ... فى ضحكة ... فى مجرد جلوسهم أمامنا مشغولين عنا بالنظر الى التليفزيون .

ما السعادة التى يهبها لنا أطفالنا .. هى ما قبل الرعب الذى يلقون به فى نفوسنا ... الهول المبين الذعر الآخاذ الوبيل ... اذ مرض أحدهم أو اذا وهمنا أن مرضـــا يهدد واحدا ... وحين يزول المرض وحين يزول الوهم تعود نفوسنا الى الصــفاء وتعـود

الينا السعادة ... ما أعظم الثمن الذى ندفعه لقــاء الســعادة من أطفالنا .

ويل لى لحظة سعادة واحدة تفعل بى هــذه الافاعيل ... ماذا أحاول أن أعرف ... هل فرض على فرضا أن أبحث عن ســـبب هذه السعادة ... ألا يكفينى أنى سعيد ...

لنبحث أولا ... ما هى أعراض السعادة التى أعانيهــا ... ويلى ألا أعرف أعراض السعادة أهذه أيضا لاتحتــاج الى شرح... ألا أعرف هذه الاشراقة التى تشــيع فى النفس فاذا النفس بهجة واذا هى متطلعة الى المستقبل الوردى الصافى والى الحــاضر وكأن سعادة العالم تجمعت فيه ... هذه هى حالى الآن ... لماذا ... وما يهمك لماذا مادمت سعيدا ...ألا تخشى أن تفقد سعادتك وأنت تبحث فى هدوء دون هذا البحث السخيف ... ونتفلسف أيضا وتريد أن تظل سعيدا ... يقولون ان الفلاسفة هم الســعداء بل يقولون ان السعداء هم الجهلاء .. كلا القــولين غير صحيح ... فأنت سعيد ولست جاهلا الى درجة أن يقــال عنك جاهل ولست فيلسوفا الى درجة أن يقال عنك فيلسوف .. ولكننى لست سعيدا ... ماذا هل فقدت السعادة ...أقصد أننى لست سعيدا سعادة الفلاسفة ولا الجهلاء ... كل ما فى الأمــر أننى أشــعر بلحظة سعادة ...

لعل لقاءك بالأمس مع سهام أمدك بهذه السعادة . لقد أحسست بالسعادة فعلا فى لقائى معها ولكن اللقاء كان يشغلنى عن الشعور بالسعادة ... وانتهى اللقاء وعدت الى حياتى اليومية ومرت بى لحظات رضى ولحظات ضيق فلا شأن لسعادتى الراهنة بلقائى مع سهام ... هى حبى وهى الوحيدة فى هذا العالم التى تستطيع أن تمسح عن نفسى خمولها وآلامها وأنا أسعد بلقائها وأهب لها كل ما تريد ولكن الحياة تلاقينى بعد ذلك وأرى فيها الخير وأرى فيها الشر وأحيا كما يحيا الناس حتى التقى مرة أخرى بســهام ... فهذه السعادة التى أحسها اذن سعادة جديدة من نوع آخر ينتابنى بلا مقدمات ولهذا أبحث عن أســبابه ... ألابد أن تبحث ... رجعنا ثانية الى هذا الحديث . وهل السعادة مع ســهام خالصة

أتحبنى لنفسى أم لما أقدمه لها من مال ٠٠ اننى أقدم المال وأسعد ٠٠٠ لا شيء يهم بعد ذلك ٠ أم تراه يهم ٠٠ ؟!

لعلك سعيد لهذه المرافعة الرائعة التى قد [illegible] فى قضية الأمس ٠٠٠ أهى المرافعة الوحيدة التى رضيت عن نفس فيها ٠٠٠ اننى أعمل فى المحاماة منذ سنوات طويلة ويقولون ا محام ناجح واعرف أننى ناجح ومعرفتى هذه تجعلنى ألتقى قضية وأنا أحتشد لها وكأننى محام ناشيء ثم أحتشد لها وورائى تاريخى الطويل فى ساحة القضاء ٠٠٠ أرى أنك بدأت تترافع ٠٠٠ طبيعة ٠٠٠ ماذا أفعل فيها ٠٠٠ المهم أن لحظة السعادة التى أمرح فيها الآن لا صلة لها بمرافعتى ٠

اسمع ٠٠٠ الا يجوز ٠٠٠ مجرد فكرة لاتسخر منها ٠٠٠ الا يجوز ان يكون حديثك التليفونى مع صديقك اسماعيل قد أرسل اليك بهذه اللحظة السعيدة ٠٠٠ أرى انك بدأت تخرف ٠٠٠ اننى كثيرا ما أحادث الاصدقاء ولاشك انهم يرسلون الدفء الى قلبى ولكن لو أننى شعرت بهذه لمجرد حديث مع صديق لاصبحت حياتى كلها سعادة بلهاء ٠٠٠ سعادة لا قيمة لها لانها ستصبح سعادة غبية سخيفة ٠

اسمع ٠٠٠ طالما سمعت ٠٠٠ اسمع ولا تعقب ٠٠٠ انك سعيد لانك سعيد ٠٠٠ أهذا آخر ما وصلت اليه ٠٠٠ ما أشد سخفك بل أنت السخيف ٠٠٠ أرأيت أنك تريد أن تفسد على سعادتى ٠٠٠

اسمع اننى لن أبحث عن السبب ٠٠٠ انى الآن سعيد ولايهم لماذا ٠٠٠ انى سعيد وكفى ٠٠٠







الميراث

ليس غريبا أن يكون بينهما هذا الخلاف الذى وصل الى أقصى مداه . وليس غريبا أن يكون بينهما هذه الكراهية الشديدة وهـذا المقت المرير . لقـد ورثا الخلاف والكراهية والمقت فيما ورثا عن أبويهما .. وهما الآن وجيهان لكل منهما أنصار وأعوان وقدنسى كل منهما كما نسى أنصار كل منهما قصة الابوين.

اما أبو الاول الذى أصـبح اليـوم أسـعد بك فقد كان المعلم أنور . بدأ حيـاته فى حى السيدة زينب وقـد زحف اليهـا من الريف حين ضـاقت به بلـدته « شـيبا » فأصـبح لا يجد بهـا قوت يومه فهى قـرية مزدحمة يتخـاطف أهلهـا الرزق وهو لايرى فى الزحام طريقـا وحالفه الجوع حتى أصبح لا يأبه كثيرا بالشرف فكان يختطف العيش اختطافا فيه قسوة أحيانا كثيرة وفيه الحيلة فى أحيان قليلة ولكن لم يكن هذا الاختطاف ليستطيع أن يستمر طويلا فضاقت به القرية ولم يجد مناصا آخر الامر الا أن يزحف الى القاهرة . الزحام أشد ولكن هذا الزحام كان بالنسبة اليه كالصحراء البكر . فهناك لن يعرفه أحد وهناك يستطيع أن يمارس اختطـافه بالحيلة دون أن يعجزه ضيق المكان أن يجد الفريسة ولم يكن يستبعد أن يستعمل القسوة اذا كان لابد ان يستعمل القسوة . وزحف الى القاهرة .

غريب فى حى السيدة والقاهرة يومئذ بها كثير من الاراضى الخالية فماذا عليه أن يتخذ من خرابة مسكنا وماذا عليه لو اقام بيته من بعض خشب . ومن أين له الخشب . أدرك انه لو ظهر على حقيقته فى أيام اقامته الاولى فلن يلبث شارع الملك الناصر أن ينبذه كما نبذته بلدته شيبة قصد الى تاجر اخشاب .

ـ أعمل عندك .

ـ وماذا تحسن أن تعمل ؟

ـ احمل الخشب .
ـ لا بأس فان لك جسما قويا .
ـ فقط أريد بعض خشب مقـدما أقيم به الحجـرة التى سأسكن بها .
ـ أنت ...
ـ غريب قادم من الريف .
ـ ومن يضمن لى أنك ستبقى حتى تفى بثمن الخشب .
ـ الخشب نفسه .
ـ معقول .

وهكذا بنى حجرته بقطعة أرض وجدها خالية ولم يفكر أن هذه الارض لابد ان يكون لها صاحب أو هو فكر ولكن لم يشأ أن يتخذ اجراء معينا ازاء هذا التفكير . المهم أنه أقام الحجرة واقام .

كان صاحب الارض رجلا غنيا ذا بطش وسلطان . حتى نما الى سمعه أن انسانا تجرأ وبنى حجرة بملكه ، ترفع أن يذهب اليه وانما أرسل اليه بعض أتباعه .

ـ كيف أقمت هنا ؟
ـ بنيت هذه الحجرة وأقمت .
ـ الا تعرف أن لهذه الارض صاحبا .
ـ هل أنت صاحبها ؟
ـ أنا تابعه .
ـ أريد أن القاه .
ـ لا يلقى أمثالك .
ـ وماذا يضيره أن ألقاه ؟
ـ لا يلقى أمثالك .
ـ ألا يملك الا هذه الارض .
ـ بل يملك البيوت المحيطة بها جميعا .
ـ الا يسكن فى هذه البيوت جميعها فقير مثلى ؟
ـ ولكنهم لا يلقونه .
ـ أصنع لى هذا المعروف .
ـ ولمـاذا أصنعه .
ـ لعلى أنفعك فى بعض الايام .
ـ أنت .
ـ الا تعرف الفار الذى خلص الاسد من المصيدة ؟

ـ حكاية .
ـ لابد سمعتها .
ـ فأنت تعرف أنى أسد .
ـ وأنى فار .
ـ سأجعلك تلقاه .
ـ ماذا يضير سيادتك أن أقيم بهذه الارض الخالية ؟
ـ يأتى يوم وتدعى ملكيتها .
ـ بل سأجعلها نظيفة ويوم تريد طردى فما هى الا بضعة أخشاب أحملها فى يدى وامضى الى حل سبيلى .
ـ تدفع أجرة ؟
ـ أمـرك .
ـ عشرة قروش فى الشهر .
ـ ولكن الارض خالية .
ـ ولو .
ـ وسأحرسها لك .
ـ مثلى لا تحتاج أملاكه الى حراسة .
ـ ألا تجعلها خمسة .
ـ عشرة قروش فى الشهر .

ومضت الايام وأحس أنور انه يستطيع ان يكون كما يريد ان يكون فقد طال مكثه فى الحى وثبتت أقدامه وبدأ يعود الى نفسه التى صحبها معه من القرية .

فوجىء المالك الكبير بأنابيب المياه فى بيوته تتفجر كل يوم وادرك أن أنور هو فاعلها .

ـ لا أريدك فى أرضى .
ـ أنا تحت أمرك .
ـ أنت لا ترعى الجميل .
ـ وأين الجميل ؟
ـ ألم أتركك تسكن فى أرضى .
ـ كنت أدفع اجرا .
ـ ولكنى تركتك تسكن .
ـ بعـرقى .
ـ اذا أعفيتك من الاجرة توقف أعمالك .

ـ أنا لم أعمل شيئا .
ـ أستطيع أن أضربك كل يوم علقة حتى تترك الحى جميعه .
ـ ولكنى لم أعمل شيئا .
ـ لاتعد الى ما صنعت ولا تدفع الاجرة .
ـ شكرا ولكنى لم أصنع شيئا .
ـ لماذا ضعفت معه ؟
ـ لو أخذته بالشدة لم آمن أن يظل فى تخريبه
ـ تستطيع أن تخرجه من الحى كما قلت .
ـ ويستطيع أن يجىء اليه خلسة فيرتكب جرائمه ويرجع من حيث أتى . هو الآن تحت اعيننا على الاقل .

اذن فالحكاية أثمرت . بهذا اذن يستطيع أن يصنع ما يشاء . ذهب أنور الى مولد السيدة واصطنع خناقة مع فتوة الحى فاصبح هو الفتوة واصبح من الميسور عليه أن :

ـ قطعة الارض .
ـ ما لها يامعلم أنور ؟
ـ اقبلها هدية من سعادتك .
ـ قطعة الارض جميعها .
ـ حتى أحافظ على المبانى الاخرى .
ـ أليس كثيرا يا معلم أنور ؟
ـ لابد أن أبنى لى بيتا .
ـ فخذ نصفها .
ـ اذن احافظ على نصف الاملاك .
ـ أمرك ... خذها كلها .

وفعلا بدأ أنور يبنى بيته وحتى يعلو البيت لابد أن يحفر الارض واذا بالارض تنكشف له عن كنز عظيم واصبح أنور فى ضربة أرض أغنى أغنياء حى السيدة ولكن المال لم يخلص اليه هكذا سهلا هينا وانما نبت له رجل لايدرى عنه الا انه بنى اللون .

ـ هذا المال ملكى .
ـ أى مال ؟
ـ هذا الكنز الذى وجدت .
ـ أنت الذى خبأته هنا ؟

ـ لا وانما أجدادى ·
ـ من ؟
ـ أجدادى ·
ـ ولماذا لم يدلك أجدادك على مكان الكنز ؟
ـ كان آبائى كلهم يعرفونه ومات أبى دون أن يخبرنى به ·
ـ فمن أدراك أذن أنه كنزك ؟
ـ أنه فى هذه المنطقة ·
ـ وتتوقع منى أن أعطيك اياه ·
ـ اذا شئت العدل ·
ـ فان لم أشأ ·
ـ فالقـــوة ·

وقتل أنور المطالب بالكنز وثار أهله وقامت المعـــارك كثيرة بين أنور وأعوانه وبين أهل القتيل ولكن هذا لم يمنع المال أن يظل ملكا لانور ولم يمنعه أن يقيم بيتا رائعا يصبح سيدا عظيم الشـــأن ويتزوج ويأتى ابنه أسعد ليجد نفسه بك ·

وحين يشب أسعد عن الطوق يجد هناك عداوة بين أنور أبيـه وبين رجب ولم يكن يدرى أســباب هذه العداوة ولكنه مالبث ان عرفها على مرور السنين واتساع الادراك وعرف أيضا انه لابد أن يكون عدوا لراغب بن رجب لان طبيعـــة الامور تقضى بأن يـكون عدوا له ·

قدر أنور حين أصبح غنيا أنه لايليق به أن يكون فتوة فـــراح ينمى ثروته فانشأ مصنع خشب أو هو فى الحق اشترى المصـنع الذى عمل به حين جاء الى القـــاهرة أول ما جاء وأغـراه الـربح أن ينشىء مصانع أخرى فزاد ثراؤه زيادة فاحشة واصبح مطمئنا انه اغنى أغنياء المنطقة جميعها ان لم يكن أغنى أغنياء مصر ·

ولكن شيئا جديدا بدا فى الافق اسمه رجب ··· كان رجـــلا ينتسب الى العلماء فلم يعره أنور التفاتا أول الامر ولكنه فوجىء برجب يجمع حوله المريدين وعلى رأسهم سعيد وفوجىء أنور برجب يقول لا يجوز أن يكون هناك أغنياء وفقراء وانما المال مال الناس أجمعين قالها هو ونفذها سعيد وأعوانه · وأصبح حى البغالة جميعا

ملكا لرجب وسعيد واصبحا ينافسان أنور فى غناه وحلت بينهما الكراهية منذ ذلك الحين وقد توثقت الصلة بين رجب وسعيدحتى ان راغب لايدرى ان كان ابن رجب أم ابن سعيد بل ان أمه نفسها لا تعرف ··· فهو من الناحية النظرية ابن رجب أما من الناحيـــة الفعلية فهو لا يدرى ·

دافع الناس عن أموالهم فى حى البغالة فكان الموت مصيرهم ·· فشا فيهم سعيد ··· أموالهم أو أرواحهم ··· ومات كثيرون ولكن الامر أستتب له ولرجب وراح سعيد يتولى توظيف الاموال فانشأ المصانع هو أيضا بل أنشأ المواخير حتى ينسى الناس ما فقدوه من مال وتاجر فى كل شىء وبالارهاب يشترى من لايريد أن يشترى ·

وكان رجب وسعيد من الذكاء بحيث لم يفكرا أن يقتربا من حى السيدة وكان أنور من الذكاء بحيث لم يفـــكر أن يقترب من حى البغالة ·

ومضت السنون وأصبح الناس فريقين · فريقا ينتمى بعواطفه وعقيدته الى أنور وابنه أسعد والآخر ينتمى الى رجب وســـعيد وابنهما راغب · وكانت الخلافات تحتدم بين الفريقين احتـــداما يصل الى التشابك بالايدى ثم تطورت فأصبحت معارك تستعمل فيها كل أدوات المعارك واصحاب الخلاف الاصليون يكتفون بتقديم أدوات المعارك دون أن يشاركوا هم فيها ·

وتمضى السنوات ويموت رجب ويتبعه سعيد · ويموت أنور ·

ويظل راغب واسعد على الخلاف الذى ورثاهعن آبائهما ويتوارث الاتباع أيضا المعارك فيما يتوارثون عن آبائهما ويتوارث الاتبـــاع أيضا المعارك فيما يتوارثون عن آبائهم ·

وفجاة يجد أسعد ويجد راغب أن هذه الخلافات تشغلهما عن تنمية ثروتيهما وكأنما تكشفت هذه الحقيقة بغتة أمام كليهما فى لحظة واحدة فيبدأ كل منهما بكلمة لينة عن الآخر وما تلبث هـذه الكلمة أن تصبح زيارة من أسعد الى راغب فى بيته تتبعهما زيارة من راغب الى أسعد فى بيته ويتم الصلح بين الخصمين القديمين ·

ولكن العجيب أن أنصـــار كل منهما مازلوا حتى يومنـا هذا فى عراك قاتل مستميت يموتون من اجل أثنين تم بينهما الصلح ·



وحـــــدة

— ١ —

ـ اريد أن أقول :
ـ قل هل منعك أحد ؟
ـ أنت دائما تمنعينني ٠
ـ أنا ؟
ـ أنت ٠
ـ ما منعتك عمرى ٠
ـ أنت لا تسمعين ما أقول ٠
ـ أليس المهم أن تقول ٠
ـ بل المهم أن تسمعى ٠
ـ فى هذه المرة أريد أن أقول وأن تسمعى ٠
ـ ليس من عادتى أن أسمع ٠
ـ لقد سئمت القول بلا سماع ٠
ـ لن تقول شيئا جديدا ٠
ـ تزوجنا من زمن بعيد وما عندك طبعا قلته فى الايام الاولى ٠
ـ حدث بيننا شىء ٠
ـ لا يهم ما حدث ٠
ـ ولكنى أريد أن أقول ٠
ـ فقل ٠
ـ وتسمعين ٠
ـ لا شأن لك ٠
ـ فلا معنى للقول ٠
ـ أنت حر ٠
ـ لو كنت حرا لتكلمت ٠
ـ ان لك الحرية أن تقول ٠

ـ وأنا لى الحرية ألا أسمع ٠
ـ ما اصرارك هذا ؟
ـ لا أرى فائدة فى قولك ولا فى سماعى ٠
ـ كيف تحكمين على ما سأقول وأنت لم تسمعيه بعد ٠
ـ لقد خرجت من حياتى فكل حديث لا معنى له ٠
ـ ومع ذلك ليس هناك ما يمنع أن أقول وتسمعى ٠
ـ لقد رأيتكما ٠
ـ أنا لم أنكر هذا ٠
ـ فماذا تريد أن تقول ؟
ـ فتاة هى ٠٠٠
ـ لا تقل ٠٠٠ لا تقل ٠
ـ اذن فسأقول أيا ولك أنت أن تسمعى أو لا تسمعى ٠
وهبته حبى ووفائى ويخون ٠

طفلة كنت حين تزوجنا وبهرنى منه حديث منمق وقوام رشيق ووجه وسيم ٠

وحين عرفت الحياة وجدته بلا ضمير ووجدت حديثه المنمق طلاء وبلا معنى ولا نبض وكانت طفلتى قد جاءت فكان لا يمكن أن أتركه وقبلت أن أعيش معه وهو تافه وسخيف أما أن يصل الامر الى الخيانة ٠٠٠ ولكن ما لى أغضب لخيانته كل هذا الغضب ما دمت لا أحبه فما حرصى على وفائه ٠ لعلنى حريصة على كرامتى ٠ وما شأن كرامتى ما دام يخفى عنى خيانته فكرامتى اذن سالمة لم يمسها أحد فحين كشفت ما كان خافيا حينئذ ٠٠٠

ـ انى محام ٠
ـ كنت ٠
ـ وما زلت ٠
ـ بل كنت ٠
ـ وللمحامين زبائن ٠
ـهل أنت مصمم أن تقول ؟
ـ كل التصميم ٠
ـ وماذا يضيرك ما دمت لا تتعب

ـ أرادت هذه الموكلة أن تلتقى بى خارج المكتب فكان لابد أن ألتقى بها ٠٠٠ ان المحامى طبيب نفسى عليه أن يشعر زبائنه دائما أنهم فى أمن واطمئنان مادامو فى مكتبه وفى حمايته القانونية ٠

كل ما بلغك غير هذا كذب ٠٠٠ لماذا لا تجيبين ٠٠ أى انسان لا يجوز أن يخبر الزوجة بما يصنعه زوجها حتى لو كانت هذه الاخبار صحيحة ٠٠٠ ان للبيوت قدسية لا يجوز لاحد أن يحطمها ٠٠٠ ان هؤلاء الذين كلموك عنى انما يريدون أن يحطموا البيت الذى بنيناه من أحلام طفولتنا ومن ظلال صبانا ومن أوهام شبابنا ومن حقيقة وجودنا ٠٠٠ ألا تذكرين ٠٠٠ وانما كنت تحبين أن تسمعى الذكريات وكنت تكملينها ما لك لا تكملين ٠٠

أتذكرين يوم كانت دادة حميدة تلقى بنا معا فى البانيو عرايا ولم نكن نجد حرجا فى ذلك يومذاك كنا نضحك وأرشك بالماء وتضحكين ثم نستحم ونخرج وكأننا طفلان أو طفلتان لا يفرق بيننا جنس مختلف ٠٠٠ أنت لا تسمعين لو كنت تسمعين لاحمرت وجناتك فقد كانت وجناتك تحمر دائما كلما ذكرتك ببانيو دادة حميدة ٠٠٠ اذا كانت الايام الطويلة لم تستطع أن تفرق بيننا أتستطيع ألسنة الناس ألا تعرفين معنى مرور الأيام ٠٠٠ انها هذه الايام التى تلقى الشيب الى الرؤوس وتلقى الغضـــون على الوجوه والترهل على الاجسام والضعف على الابدان ٠٠٠ هذه الايام نفســـها تمر على العلاقات الصادقة الاصيلة فتزيدها أصالة وتغرسها عميقة فى صدر الزمن فاذا الروحان مثلنا يصبحان حياة واحدة تنطلق أنفاسها من مصدر واحد قد اتحدت آمالهما فى الحياة واتحدت بينهما مصادر الرزق ومصادر الضيق ومصادر الفرح ٠٠٠ لا لن أحدثك عن ابنتنا ٠٠٠ ان كانت العلاقة بيننا لا تحتمى الا بسهير فأنا لا أريد هذه العلاقه ٠٠ لن أقول لك ان طلاقنا سيكون صدمة لسهير فى بيت زوجها ٠٠٠ أتصدقين هذه الخرافات وبنتنا الآن متزوجـــة ٠٠٠ أترينني مازلت شابا أصلح لهذا ٠٠ كنت دائما تحبين سن الخامسة والاربعين لست صغيرا على كل حال ٠٠

***

لو علمت لماذا خنتك ٠٠٠ لن تتصورى الاسباب ٠٠٠ انك قاسية

انك تطلبين الكمال من كل من حولك ولا يستطيع من حولك أن يهبوا لك الكمال ٠٠٠ أعلم أنك قسوت على نفسك وكنت مثالية فى كل ما تصنعين ولهذا أردت من الجميع أن يصبحوا فى مثل مثاليتك ٠٠ عذبت نفسك بالمثاليـــة فلماذا لا تعذبين الآخرين ٠٠ ولكننا نحن الذين حولك بشر نريد أن نخطىء كما يخطىء الناس وأن نعيش كما يعيش الناس ونتمتع بالحياة بكل الحياة ٠ بما فى الحياة من خطأ وما فيها من صلاح ٠٠٠ كرهت عنفك ومحاسبتك على كل صغيرة كرهت هذا فيك وأعجبت به فيك أيضا ٠٠٠ أنت مثل أعلى أعبده ولا أريد أن أكون مثله ٠٠ اتمنى أن أراه ولا أتمنى أن أكونه ليتك تسمعين هذا الكلام ولكن كيف أقوله ٠٠ ان فيه اعترافا بما فعلت وقد تحصلين منى مع كل شىء ولكنك لن تحصل على هذا الاعتراف٠

***

وأنت أيضا لست صغيرة ٠٠ الغيرة لاتتفق مع سنك،أنت أصغر منى أعلم ذلك ولكنك لست صغيرة لا اجابة٠٠لا اجابة على الاطلاق ٠٠٠ ان كنت مصممة على الصمت ٠٠٠ فابتسامة أو تكشيرة أو هزة رأس ، أى شىء يشعرنى اننى هنا اننى أقول شيئا ٠٠

– لو كنت حيا لامتعنى هـــذا الحديث ٠٠٠ ما زالر لحديثك طلاوته ٠٠ مازال حديثك يستطيع أن يعيدنى اليك ٠

– لو كنت حيا ٠٠ ألست حيا ٠٠

– ألا تعلم أنك مت ؟

– مت ٠٠ ألهذا الحد تكرهيننى ٠٠ هل استطاعت الاقاويل أن تجعلنى ميتا فى نظرك ٠

– لانك مت ٠

– أنا الآن لست حيا ٠

– أتتصور نفسك حيا ؟

– أليس هذا حقا ٠

– ألا تعرف أنك مت ٠

– لا تقولى هذا ٠

– انها الحقيقة ٠

– ألست جالسا الآن أمامك ٠٠٠ ألا تسمعين حديثى وتجيبين ٠

– صوت من العالم الآخر ٠

– فأنا ميت اذن ٠

– هل تشك فى ذلك ٠

– بل انى واثق انى أعيش ٠

– انى حى ولكن لن أحيا معك مادمت قد هنت عندك الى هذه الدرجة ٠

– علم الله لم تهن ولكنها الحقيقة ٠

– انها أمنياتك أنت ٠٠

– انها الحقيقة ٠٠٠

– سأجعل منها حقيقة بالنسبة اليك لن أعيش معك لن ترى وجهى بعد اليوم ٠ لن ترى وجهى بعد اليوم ٠

– ٢ –

لعلها كانت تختاره من تلقاء نفسها اذا لم تتعرض لما تعرضت له ٠٠٠ كيف قبل أبوها هذا ٠٠٠ أبوها رجل القانون الذى ظل طول حياته يعلمها أن الحرية هى أثمن ما فى الوجود وأن حرية المرء هى حياته فاذا هى فى سنها الباكرة تتنسم الحـــرية مع الهواء الذى تتنشقه واثقة أنها تستطيع أن تمارس حريتها فى كل صغيرة وكبيرة من حياتها ٠٠٠ وقد عاشت منطلقة سعيدة بحريتها سعيدة بثقة أبيها فيها حريصة أن تؤكد له دائما انه يضع ثقته بين يدين جديرتين بها ٠٠٠ فهى نقية دائما ٠٠٠ تختار لنفسها أكرم مكان بعيدة كل البعد عن مواطن الشبهات لا تكترث كثيرا بتضييق أمها عليها فانها يجب أن تسيطر عليها دائما وتحب أن تحد من حريتها المنطلقة هذه فى طبيعة لاتكلف فيها وقد عرفت هى هذا فى أمها فهى تغفر لها قسوتها وتعيش حياتها كما تحب أن تعيش فى حرية نقية صافية ٠

وهى فى جمالها الرائع الاخاذ كفيلة أن تثير لدى الشباب ألوانا من المطاردة وهى سعيدة بهذه المطاردة وهى أكثر سعادة حين ترى نفسها تردهم جميعا فى كبرياء وتدفعهم فى عزة لا يعنيها ماذا هى مثيرة حولها بكبريائها ٠

وحين أصبحت فى الجامعة أحاط بها الزملاء برغباتهم الجامحة وأحاط بها الزميلات بغيرتهن المجنونة فلم تعبأ بالرغبة من الفتيان

ولا بالغيرة من الفتيات وظلت كما تحب لنفسها أن تظل مترفعة كريمة على وئام تام مع ضميرها وحريتها ·

واستطاعت الرغبة من الشباب والغيرة من الفتيات والكبرياء منها أن تطلق حولها الاقاويل ضارية مجنونة، فمنهم من يقول لها حبيب ولكنها خبيثة عميقة تستطيع أن تخفى أمرها ومنهم من يقول مجنونة متكبرة ومنهم من يقول انها مبذولة لمن يشاء ولكنها تتظاهر بالعفة · ومنهم من يدعى أنها فى أمسها القريب كانت معه وانه رأى من فجورها ما لم يشهده من المحترفات ·

وتجد هذه الاقاويل طريقها الى أذنيها فالبنات يحببن أن يتظاهرن بالشفقة عليها ويحببن أيضا أن يتظاهرن بصداقتها فان الفتاة التى تستطيع أن تثير كل هذه الاقاويل تصبح صداقتها فى أغلب الامر شيئا حبيبا الى نفوس الفتيات ·

وكانت هذه الاقاويل تصيب من نفسها مكانا قاسيا ولكنها كانت تســـتطيع دائمـا أن تتكبر عليها فكأنما الحديث عن فتاة غيرها لا تعرفها ·

وان كان قول الشاب الذى قال انه كان معها قد أثار فيها غضبا شديدا ··· انها تعرف هذا الفتى ولكنها لم تكلمه فى حياتها أبدا · ولقد حاول أن يتقرب منها بالطريقة الساذجة التى يحاول بها غيره فلم تكلف نفسها عناء صده بالحديث وانما أشاحت عنه وانصرف دون حديث فهو من ذلك النوع الذى يحب أن يزهو دائما أن النساء أسيرات اشارته ·

عرض الفتاة بضاعة لا حارس عليها ·· يكفى أن يطلق هذا الافاق قوله الرخيص حتى أصبح أحدوثة بين الطالبات والطلبة · وعن وهم دائما أكثر ميلا الى الهجوم منهم الى الحق · لا يعنيهم ما يعرفونه عن كبريائى وما يعرفونه عن هذا الفتى من كذب وادعاء · وانما يعنيهم أنهم أصبحوا أمام قالة جديدة حكاية مثيرة يرويها فتى على أنه بطلها ··· وستصدق الحكاية بلا تمحيص ولا تفكير فان النفوس تريد أن تصدقها وليذهب كبريائى الى أى جحيم يشاء ·

ويتجمع الفتيان والفتيات حول الشاب ويصف وفى كل يوم يزيد فى الوصف ويستطيع فى خبث أن يغمز بعينيه :

ـ لولا وجود الانسان لسمعتم ما شئتم من التفاصيل ·
ـ أنت كذاب ·

صوت انبعث من شاب بينهم والتفتت اليه العيون منكرة عاجبة فقد تعودوا أن يسمعوا هذه الاحاديث من ملقيها هذا دون أن يفكر احد فى وضعها موضع الاختبار ليحكم عليها آخر الامر بالصدق أو بالكذب فما هذه النغمة الجديدة ومنذ متى يفكر واحد منهم فى مقدار الحق فيما يسمع ·

ـ أنا كذاب ؟!
ـ وما شأنك ···

ـ أنت كذاب لان ما تقوله لم يحدث وحقير لانه لو كان حصل لكان الاولى بك أن تستره ·

ـ خطبة عظيمة فى مكارم الاخلاق ·

ـ الفتاة التى تروى عنها نعرفها جميعا وهى لم تسمح لاحد أن يأخذ عليها اشارة غير كريمة ·

فهى حريصة أن تكون سمعتها فى الكلية أحسن سمعة وهى جميلة ·· بل هى أجمل فتاة نعرفها ·· ولو شاءت لوجدت الاصدقاء من كل مكان ومن الطبيعى أنها اذا أرادت أن تلهو فانها ستبحث عن شاب فى أى مكان غير الكلية التى حرصت دائما أن تكون فيها شريفة ·· أنت كذاب ·

وكأنما أفاق الجمع الملتف حول القصة والحوار الى هذه الحقيقة البسيطة الساذجة ·· انها حقيقة لو أراد أى شخص منهم أن يفكر فيما يسمع لوصل اليها دون جهد يذكر ونظروا الى الفتى الذى كان يروى فوجدوا البهتة على وجهه ··· انه فى موقف جديد عليه فقد ظل طول عمره يروى فيجد المتعة فى وجـوه السامعين ولم يجـد معارضـه فى يوم من الايام ونظر حـوله فوجـد الوجـوه جميعها تنتظر جوابه وهى أقرب ماتكون تصـديقا لهـذا الهجوم الذى شـنه عليـه زميـله ··· كان ذهنـه مشـغولا بخلق القصة ولم ينشغل أبدا فى خلق الحجج التى تدل على صدقها فحين واجهه هذا الانكار وجد نفسه فى صحراء من الدهشة ولم يجد شيئا يقوله ··· فغر فمه وحملقت عيناه وانطفأ عن وجهه وهج الحماسة

وجف ريقه وراح يدور بعينيه حوله فاذا العيون التى كانت منذ لحظات ساجية مستمتعة بما تسمع تصبح عيونا متسائلة متهمة قاسية محتقرة ... كانت تريده أن يكون صادقا .. كانت تريده يحمل الدليل على ما يقول حتى تصبح متعتهم حقيقية لا أثر فيهـــا للخداع .. خداعه لهم وخداعهم هم لانفسهم..ولكنه خذلهم بهذا الصمت وهذه الحيرة وهذه الحماسة المنطفئة وهذا الصمت الذاهل الحيران وهذا الوجوم الكسيف الخزيان . طال صمته فالقى بعينيه الى الارض آخر الامر واستدار للجميع فى يأس قائلا فى صوت يحاول أن يحمل التهديد فلا يحمل الا الهزيمة :

ـ طيب ...

وينصرف لتعلوا فى سمعه عند الباب قهقهات عالية ساخرة ويلتئم الجمع حول المنتصر فيجدون الفتى غير معتز بانتصاره .

ـ أنتم جميعا شركاء والفتيات منكم خاصة .. كيف تأمن أى واحدة منكن أن يقول عنها مثل هذا القول ..

وينصرف الفتى المنتصر فى غضب وينتقل الحديث جميعه اليها فتجد فى نفسها راحة واطمئنانا ... ان الدنيا ليست بالسوء الذى كانت تتصوره . ان هذا الفتى الذى دافع عنها حاول أن يقيم معها صداقة فردته هو أيضا ولكنه شريف ..

وتمر الايام ولا يحاول أن يتقرب منها ... انها تعرف أنه يحس بنظراتها الشاكرة تلقيها اليه من بعيد ويروغ هو من هذه النظرات فقد قال ما يعتقد أنه الحق وهو لا يريد منها شكرا ... وتأبى هى أن تقدم شكرها فى حديث فهى لا تريد أن يرى زملاؤها أن بينها وبينه أى علاقة ولو كانت هذه العلاقة مجرد حديث ..

ودون أن تحس هى ودون أن يحس نشأت العلاقة .. فيها اكبار من الناحيتين وفيها شكر من جانبها .. بل فيها من جانبها معنى أكبر من مجرد الشكر ... لقد أحست أن هذا الشاب قد أعاد اليها ثقتها فى الناس . ان فيهم سوءا ولكنهم ليسوا جميعا أشرارا .. أحبته من ومضات خاطفة فى عينيه أحست أنه يحبها ... فهى لم تدهش حين تقدم الى أبيها يريد أن يخطبها ولكنها دهشت أن أباها لم يسألها عن رأيها وانما عرفت أنه صرفه دون قبول .. وتقول أمها

أنه فقير لا يملك الا مرتبه حين يعين . تلك الحجة التى يراها الآباء دائما مقنعة والتى يراها الابناء دائما سخيفة ..

كان رفض أبيها مؤلما بالنسبة لها .. كيف ينهار هذا التمثال الذى أقامته له فى نفسها .. لقد ظل طول حياتها يعلمها أن الحرية هى أثمن ما يملكه الانسان ثم هو فى لحظة واحدة يسلبها كل حريتها وهى أهم ما يعرض لفتاة فى حياتها .. انهار تمثال أبيها .. انها تعلم أنه يلين أمام أمها فى أمور كثيرة ولكنه من المبادىء الاساسية التى يؤمن بها لا يلين فكيف قبل أن يعتسف حق ابنته فى اختيار شريك حياتها وكيف قبل أن يرده دون أن يسألها ..

ان هذا الذى رده أبوها هو الشخص الوحيد الذى تريد بحريتها الكاملة أن تتزوج منه وشباب الدنيا جميعها بعد ذلك سواء .. ما دامت لن تتزوج هذا الشاب فليكن الزوج من يكون .

وحين أقبل زوجها هذا :

ـ ما رأيك ؟

ـ لا رأى لى .

ـ فأنت اذن موافقة .

ـ اذا كان عدم اعطاء الرأى موافقة فأنا موافقة واعتبرت أمها هذا الحديث القصير موافقة وتمت مراسيم الزواج وأبوها بعيـــد عن الموضوع جميعا وكان لا يعنيه ..

وحين أصبحت فى بيت زوجها تبينت هول ما حدث لها .. لقد قضى عليها ..

ـ قالت لى أمك أنك وافقت .

ـ هل سألتنى أنت .

ـ وهل تكذب أمك فى مثل هذا ..؟

ـ انك علمتنى الحرية وسلبتها منى ليتك لم تعلمها لى حتى لا أفجع فيها وفيك وأنت تسلبها منى .

ـ هل سلبت حريتك ؟

ـ منذ رفضت زميلى الذى جاء يخطبنى .

ـ انها أمك .

ـ وأنت أبى .

ـ حسبت انه لا يهمك أن أرفضه .

ـ ولماذا لم تسأل ؟

ـ كنت فى شقاق مع أمك وخشيت أن تظن أننى أقف الى جوارك

للخلاف الذى بيننا ٠
ـ وأنا الضحية ٠
ـ لم أتصور أن فى الامر تضحية ٠
ـ ولماذا لم تسأل ؟
ـ أخطأت ٠
ـ وحياتى هى الثمن ٠
ـ ألا تقبلين اعتذارى ٠
ـ وماذا يفيد الآن ؟
ـ قد نستطيع أن نصلح ما فسد ٠
ـ كيف وقد مت ٠
ـ أنا مت ٠
ـ الم تمت ٠٠٠
ـ من هذا الذى يحدثك ٠
ـ وهم أو شبح ٠

ـ ٣ ـ

ـ حتى أنت ٠٠٠ حتى أنت ٠٠٠ حتى أنت ٠٠٠ لقد أعطيتك كل حبى ٠
ـ وأعطيتك كل حبى ٠
ـ لم تطلبى شيئا الا قدمته ٠
ـ كنت سعيدا وأنت تقدم لى ما أريد ٠
ـ وكنت سعيدة وأنا أقدم لك ما تريدين ٠
ـ كنت أحب أن يجد حبى صدى عندك ٠
ـ ولكنك كنت كثيرا ما تشك فى ٠
ـ كنت أخشى أن يكون حبك لى مبعثه البحث عما أقدم لك ٠
ـ هناك من هو أغنى منك ولم أقدم له حبى ٠
ـ ان الغيرة هى الثمن الذى يدفعه المحب فى مقابل هنائه بحبه ٠
ـ ولكن على حساب ثقته بمن يحب ٠
ـ أكنت تريديننى محبا لا يغار ٠
ـ كنت أريد حبيبا يهب الثقة ثم يخاف ٠
ـ أهذا ما أغضبك ٠
ـ لا ٠٠ لقد تعودت منك هذه الوساوس ٠

ـ ان الصلة بيننا لم يكن يحميها الا الحب ٠
ـ وهل هناك أقوى من الحب ؟
ـ القلوب تتغير ٠
ـ فهل تمنع الغيرة تغيرها ٠
ـ والمرأة تتغير ٠
ـ وهل تمنع الغيرة تغيرها ٠
ـ أنا لا أملك الوساوس تثور فى نفسى ٠
ـ الواثق بنفسه يملك وساوسه ٠
ـ هل يريد أحد أن يخاف ؟
ـ القوى يتحكم فى طباعه ٠
ـ لكل انسان ضعفه ٠
ـ تستطيع دائما أن تثق بنفسك ٠
ـ وبغيرى ؟
ـ واذا وثقت بنفسك وثقت بغيرك ٠
ـ بكل الناس ٠
ـ بمن تحب
ـ فان أحببت من لا يحبنى ٠
ـ فأنت غبى ٠
ـ هل أنا غبى ؟
ـ اذا أحببت من لا تحب فأنت غبى ٠
ـ أعظم أذكياء العالم أحبوا من لا يحبونهم ٠
ـ لم يكونوا يعرفون أنهم غير محبوبين ٠
ـ خادعوا أنفسهم ٠
ـ كنت أخاف أن أخادع نفسى ٠
ـ أن تخادع نفسك خير من أن تثيرها ٠
ـ أحببتك بجنون ٠
ـ وأنت تعلم أننى أحببت بجنون ٠
ـ لقد جئت لى كموكلة ٠
ـ كانت سمعتك كمحام كبير ٠
ـ وكسبت قضيتك ٠
ـ لقد كنت على حق ٠
ـ فأنا لست بارعا اذن ٠
ـ كنت بارعا فى اختيارك لى ٠

ـ أحسست أنك فى فراغ ·
ـ حين يتوفى الزوج تصبح الزوجة فى فراغ ·
ـ ولكنى أيضا كنت فى فراغ ·
ـ كان فراغا عاطفيا ·
ـ كنت محتاجا اليك ·
ـ وكنت محتاجة اليك ·
ـ قضيت معك أروع لحظات حياتى ·
ـ وانها أروع لحظات حياتى ·
ـ لقد وهبت لى الكثير ·
ـ وأنت وهبت لى الكثير ثم ···
ـ ثم ماذا ·
ـ مللتنى ·
ـ أنا ·
ـ تركتنى بين الموت والحياة ·
ـ كان لابد أن أسافر فى عمل ·
ـ وحياتى ·
ـ ان عملى يتوقف عليه مصائر الآخرين ·· انها مسالة ضمير·
ـ ألم يعاتبك ضميرك فى أمرى ؟
ـ تركتك بين يدى الأطباء ·
ـ ولكنى وحيدة ·
ـ وماذا كنت أصنع ؟
ـ وأنا وحيدة بسببب ·
ـ طبيعة حياتنا تحتم عليك الوحدة ·
ـ ألم تفكر فى أمرى ؟
ـ ألم تفكرى فى أمرى ؟
ـ ماذا كنت أصنع ·
ـ سؤال العاجزين ·
ـ فأجيبى أنت ·
ـ كنت تستطيع على الأقل أن تأتى لى بممرضة ·
ـ لماذا لم تقولى ؟
ـ مثل هذا لا أقوله أنا ·
ـ انك دائما كنت تطلبين ما تريدين ·

ـ الا هذا ·
ـ لماذا ؟
ـ انها صحتى وحياتى يجب أن ترعاها أنت دون أن أقول
ـ كنت مشغولا بعملى ولم يخطر لى هذا ببال ·.
ـ لو كان أمرى يعنيك لخطر هذا ببالك
ـ لايجوز أن تحاكمينى على فكرة خطرت لك ولم تخطر لى ·
ـ ثم عدت من السفر ·
ـ لست أدرى أى شيطان أخبر زوجتى بعلاقتنا
ـ فهو حرصك على زوجتك اذن ·
ـ بيتى وكيانى وسمعتى ·
ـ وحبك ·
ـ كنت أطمئن عليك ·
ـ وهل اطمئننت ؟
ـ لقد كنت دائما حريصة على بيتى ·
ـ كنت أحسب حياتى عندك غالية ·
ـ أنت تعرفين انها غالية ·
ـ كنت أحسب ·
ـ ومع هذا فقد سمحت زوجتى للمجلات أن تتكلم فى الموضوع·
ـ وهل يهمك هـذا ؟
ـ سمعة المحامى فى غاية الأهمية ·
ـ كل شىء مهم عندك الا صحتى ·
ـ الا يمكن أن تكون أشياء كثيرة مهمة فى وقت واحد ·
ـ على أن تكون صحتى أهم شىء عندك ·
ـ أنت تعرفين انها أهم شىء عندى ·
ـ تركتنى وأنا بين الموت والحياة ·
ـ ظروف قاسية ·
ـ عذر الضعاف ·
ـ الا ترحمين ؟
ـ وماذا تفيد رحمتى الآن ؟
ـ الا تعرفين ماذا تفيد ؟
ـ لقد فات الأوان ·
ـ لم يفت ·
ـ لعلى كنت أقبل عذرك ·

— لو لم تكن ...
— لو لم أكن ماذا ؟
— لقد مت .
— أنا مت ؟
— لقد مت .
— أهي مؤامرة مدبرة .
— الموت لايحتاج الى تدبير المؤامرات .
— اذن فأنا ميت .
— ميت ؟
— أنت ترين هذا .
— انها الحقيقة .
— الحقيقة ؟! ...
— ميتا أو حيا لن أراك ولن تريني بعد اليوم .

— ٤ —

هو الملجأ الأخير ليس لى غيره لا يستطيع هو الآخر أن يدعى موتى ... أنا الذى صنعته من السهر الطويل والجهد الشاق والضمير اليقظ والعلم والدراسة والفن .. صنعته وجعلت اسمه على كل لسان ... مكتبى ... اذا ذكر اسمه للمتهم فهو أمن ولصاحب الحق فهو عدل لم أقبل فيه قضية الا كنت راضى الضمير عنها ... فارغ هو الآن ... موعد المكتب لم يأت بعد .. الوكيل لم يأت الزبائن لاتجيء الا بعد موعد المكتب بساعة أو أكثر ... ما أعظم ما قمت به ... هذه القضايا القديمة كلها تحمل الاعمال الرائعة التى قدمتها فى ساحة العدالة وفى فن المحاماة وفى خدمة الحق . بل الى أن القضايا التى لم أقبلها كانت أعظم وأضخم . لا أنسى تلك القضية التى اجتمع فيها خمسة شباب ليقتلوا رجلا عجوزا وجاءنى أخو أحدهم يدعونى للمرافعة عن أخيه وقرأت القضية ووجدت الظروف جميعا تشير الى موكلى بالاتهام ... كان مجرد المرافعة فى القضية مهما بالنسبة لى فقد كنت فى ذلك الحين محاميا ناشئا يبحث عن القضايا الهامة ليصنع بها اسمه فى سجل كبار المحامين وقد جاءنى هذا الموكل لصلة كانت تربط بينى وبين أسرته وكان طامعا الا أغلو فى الأتعاب وقد كنت خليقا الا أتقاضى

شيئا على الاطلاق . فمثل هذه القضايا يدفع فيها المحامون أتعابا ولم تكن أصابع الاتهام التى تشير الى موكلى تهمنى فى شىء كل ما كان يهمنى هو الحقيقة ... لقد أحسست أن موكلى اشترك فى الجريمة ... أحسست بهذا احساسا اقترب من اليقين فحين جاء الأخ يسألنى ان كنت سأقبل القضية سألته ذلك السؤال الذى لايجوز لمحام أن يسأله لمتهم أو قريب لمتهم ... ذلك السؤال المباشر الصريح القاطع .

— هل ارتكب أخوك الجريمة ؟

وأطرق الاخ لحظة كأنما كان السؤال لكمة عنيفة موجهة اليه ثم رفع رأسه فى حزن وأسى .

— نعم .

وهدمت نعم كل آمالى أو معظمها فقد أردت أن أخاطب الأمانة فى نفس هذا الأخ .

— لقد أقسمنا اليمين ألا نكذب فدفاعى عن أخيك سيكون قائما على طلب التخفيف بناء على الشهادات التى قدمت للمحكمة لاثبات الجنون وأعتقد أن هذا هو خير سبيل للدفاع ... انا لن أدعى أن أخاك برىء ... ان رأيت أن أسير فى الدعوى على هذا النحو فأنا تحت أمرك وان رأيت أن نبحث عن محام آخر يحاول نفى التهمة جميعا فهذا اليك .

وصمت الأخ قليلا فى تلعثم وهو يقول :

— سر فى الدعوى على النحو الذى يرضيك وفرحت يومذاك ولكن ما لبث فرحى أن تبدد فقد علمت أن الأخ قد وكل محاميا آخر ... تبدد فرحى ولكن ما أسرع ما ملكنى شعور بالسعادة الطاغية ... ذلك الشعور الذى يمتلك من قدم تضحية فى سبيل مبدأ ... شعور رائع كثيرا ما أحسست به وأنا أقيم صرح هذا المكتب .

شعرت به كلما رفضت قضية كهذه وشعرت به كلما حاول احدهم أن يجعل من المحاماة مهنة وساطة رخيصة .

لعل هذا النوع من الشعور أعظم فى اسعاده من كسب قضية ... فكسب القضية يقترن فيها الجهد بالفرح ... وتوقع الكسب مع الجهد يجعل الكسب نتيجة قريبة الاحتمال بالفرح بها لايكون كبيرا أما بمغالبة النفس وهى أعظم عدو للانسان ورفض المال الذى نحتاج اليه . رغم حاجتك اليه .



رحلة العودة

أما هذا فانه يشيع فى النفس نوعا من الرضـــا والسـعادة والاطمئنان الى نفسك والثقة بها ٠٠ وأهم مايحتاج اليه المرء فى حياته أن يطمئن الى نفسه ويثق بها ٠٠ يثق بأنها تستطيع دائما أن تكون أبيه مترفعة فيها كبرياء القناعة واعتزاز أصـحاب المبادىء

ماذا حدث لى حتى بدأت أتـرافع عن نفسى ٠٠٠ لا أدرى ماذا حدث ٠٠٠ لا أريد أن أذكره ٠٠ وهل أملك الا أن أذكره ٠٠ وماذا يهمه ٠ فما دام مكتبى هذا باقيا لى فكـل ما عدا ذلك عبث ٠٠٠ أستطيع أن أعيد الى حياتى كل هؤلاء الذين رفضوا حيـــاتى فهم أيضا قد صنعتهم بمكتبى وأستطيع أن أعيد صنعهم اذا شئت ٠٠ زوجتى – السنوات الطويلة والطريق الذى قطعناه مع الامال الهشة الواهنة حتى أصبحت الآمال حقائق وهى فى شموخها الصاعد وفى ترفعها الأبى وفى مثاليتها الرائعة القاسية ٠ وانى أحبها واكبرها وأجلها فى كل لحظة فى حياتى انى أعتز بها أمثل هذه أستطيع أن أعيد صنعها ؟ أن أعيد صنع الحياة التى قطعتها معهـا ٠٠ ابنتى نبض قلبى وحبى وضعفى وقوتى ٠٠ فى ثقتها بنفسها وبحبها لها تقطع الحياة حريه ونقاء ٠ كيف استطعت أن أجعلها ترفض حياتى ٠٠ كيف ٠٠؟ كيف ٠٠ وكيف تعود إلى مثل هذه البنية ٠

حبيبتى ٠٠ لحظات السعادة المزغردة الطاغية ، لحظات المتعة الوضيئة فى حياتى القلب والقلب ينبض واحد والمخاطرة والخاطرة تتآلفان لهما خاطرة واحدة ٠٠ مخاوفى عندها أمن وآلامى عندها الى زوال ٠٠٠ ومع ذلك بقى لى مكتبى ٠٠٠

ماذا حدث ٠٠٠ ؟ لقد أوغل الليل ولم يأت الوكيل ٠ ولم يأت الزبائن ٠٠٠ لعل الوكيل فى مكتبه ولعله لايعرف أننى بحجرتى ٠ أبدا انه لم يأت ٠ لم يأت والحجرات فارغة ٠٠ لا أحد فى الأوراق على مكتب الوكيل ٠ انها ليست أوراقا انها مجلات ٠٠٠ مجلات ٠ فضيحة شائنة زوجة محام كبير تطلب الطلاق لأن زوجها يخونها ٠ زوجة محام كبير ترفض البقاء مع زوجها الخائن ٠٠٠ زوجة محام كبير فى قضايا الجنايات ٠٠٠

أنه من أسهل الأمور على أن أعرف على الفور ان كنت حيـا أو كنت ميتا ولكن ٠٠ اذا كان هؤلاء يرون أننى ميت فالأمر بعد ذلك سواء ٠٠٠ لا حاجة بى الى البحث ٠٠٠ الامر سواء ٠٠

إصدر حاكم الكوفة أمره الى عماله أن يلزموا أصحاب المحال التجارية بدفع خمسة دنانير فى الشهر مقابل أن يحمى لهم متاجرهم من اللصوص والغاصبين · كما أمر أن يدفع الزراع عشر محصولهم مقابل أن يحمى لهم التسعة أعشار الباقية · وأصاب الناس اضطراب شديد · وراح الأفراد يتجمعون ويتهامسون ولكن سرعان ما يتفرقون ويصبح الهمس هواء مع الهواء · وقد يفيد الهواء ولكن هيهات لهمسهم أن يفيد ·

وكان أحد شوارع الكوفة مزدحما بالتجار فكان الهمس فى هذا الشارع يعلو بعض الشيء عن الشوارع الأخرى ولكن مهما يكن الهمس عاليا فانه ينداح آخر الأمر مع الهواء فلا يفيد ·

وكان أحد الوراقين جالسا الى كتبه ينظر الى رجل عنده مهيب يقرأ فى كتاب من كتب المكتبة بنهم واستغراق ·

ـ قل لى أيها الشيخ ·

ـ هل أنت مصمم على أن اقول لك ؟

ـ مجرد سؤال

ـ ياليت ·

ـ مجرد سؤل ·

ـ لايمكن ·

ـ فانتظر حتى ترى ·

ـ ان كل حديث يبدأ بكلمة قل لى هذه السخيفة · وقد يتبعها مجرد سؤال ثم تتوالى الأسئلة فلا تنتهى وأنا أريد أن اقرأ ·

ـ حسنا لماذا تقرأ ؟

ـ لأتعلم ·

ـ ولماذا تتعلم ·

ـ لأعرف كيف يصاغ الكلام ·

ـ ثم بعد ·

ـ أرأيت لم يكن مجرد سؤال اذن انها مؤامرة كاملة ·

ـ لو كنت اجبتنى أجابة شافية لما احتجت أنا الى كل هذه الأسئلة ·

ـ بماذا أتريدين أن أجيبك ·

ـ لماذا تقرأ ؟

ـ لقد قلت لك ·

ـ لم تقل شيئا ·

ـ اننى أقرأ لأننى أريد أن أقول ·

ـ فالقول اذن صناعتك ·

ـ انه صناعتى ·

ـ صناعتك أن تقول ·

ـ نعم ·

ـ فلماذا لا تقول ؟

ـ وماذا تريدنى أن اقول ؟

ـ أن تقول للظالم أنت ظالم ·

ـ أين هو الظالم ؟

ـ أتستطيع أن تقول للظالم أنت ظالم ·

ـ انها صناعتى ·

ـ ألم تسمع بالأحكام الأخيرة التى أصدرها الحاكم ؟

ـ هذا عمله ·

ـ أن يفرض علينا الاتاوات ·

ـ اذا لم تدفعوا هذه الأتاوات كما تسميها فمن أين تنفق الدولة·

ـ لو انها أخذت من أجل الدولة ما تكلمنا ·

ومن اين تعرف السبب الذى من أجله أخذت ·

ـ اسمع أيها الشيخ · اننى واخوانى لا نعارض فى دفع ما تريده الدولة فقط لنا مطلب ·

ـ لكم ان تقولوا مطالبكم ·

حين يمتنع الحـــاكم عن اقامة الولائم كل يوم مرتين مرة فى الغداء ومرة فى العشاء · وحين يمتنع الحاكم عن اقتناء الجوارى باذلا فى سبيل ذلك الالوف المؤلفة من الدنانير · وحين يمتنع الحاكم عن ان ينفق فى سعة ليرتدى الملابس موشاة بالذهب والماس · وحين يمتنع الحاكم عن أن يعطى من خزانة بيت المال لاهله وذويه والمقربين اليه بغير حساب · وحين يمتنع الحاكم عن أن يقـــذف بالمال تحت أقدام الشعراء الذين يمدحون فى خسة والمغنين الذين ينافقون فى صغار · حين يمتنع الحاكم عن هذا جميعه ويحتاج بعـــد ذلك الى أموال لبيت المال فاننا نرحب ان نقدم كل ما يطلبه منا ·

— اذن فأنت تريد فى بساطة أن يبدأ الحاكم بنفسه ·

— بوركت لقد ظللت أتكلم وأتكلم فقلت أنت ما أريد فى كلمة واحـــدة ·

— الكلام صناعتى ·

— أترى لصناعتك هذه فائدة ان لم تقل بها كلمة حق ·

— انك على حق ولقد اقتنعت بقضيتك ·

— أتذهب اذن الى الحاكم فتجعله يقتنع بما اقتنعت أنت به ·

— أما انا فلا مانع لدى ولكن ؟

— أتخـــاف ؟

— ليس لدى ما أخاف عليه ·

— حيـــاتك ·

— اخاف عليها ولكن ما أظن أن الحاكم سيستولى عليها لمجـرد اننى نقلت اليه رأيا ·

— فما لكن هذه ؟!

— ولكن ذهابى وحدى لن يفيد شيئا ·

— ان الكلام صناعتك

— لست وحدي من اتخذ الكلام صناعة فى الكوفة ·

— اذن فأنت تريد جماعة من الناس حتى تكون مطمئنا بوجودهم

— أولا لاعيب فى ذلك ، فمن خصال الانسان أن يخاف ، وثانيا ذهاب الجماعة خير من ذهاب الفرد فان الحاكم حين يرى جمعا منا يعرف اننا نعبر عن رأى قوم كثيرين · اما ان رأى فردا فقـــد يستخف به ويرميه بالتدخل فى غير شانه ·

— أليس شانك أن تقول ·

— فى هذه الحالة يعترف الحاكم ان من شانى أن أقول ·

— لا بأس فمن تريد معك ؟

— انك وراق وتعرف كل من يتخذون الكلام صناعة ·

— فمتى تحب أن تذهب ·

— متى تستطيع أنت أن تجمع الذاهبين ·

— فى أقرب وقت ·

— وانا مستعد ·

وتجمع صناع الكلام وقصدوا الى قصر الحـــاكم · فاستقبلهم الحاجب ·

— من أنتم ؟

فقال كبيرهم ·

— نحن أهل الكلمة ·

— ومن أهل الكلمة ·

— اولئك الذين وهبهم الله موهبة الكلام ·

— وماذا تريدون ؟

— نريد أن نلقى الحاكم ·

— ولمـــاذا ؟

— عندنا كلمة نريد أن نقولها له ·

— الا يمكن أن تقال لى ·

— انها لاتقال الا للحاكم ·

— أهى بشرى طيبة ؟

— انها ليست بشرى ·

— فهى اذن نبوءة سيئة ·

— يا أخا العرب نحن لسنا من علماء الفلك ·

— فماذا تريدون اذن ·

— أن نلقى الحاكم ·

— لن تلقوا الحاكم الا اذا عرفت أنا ما تريدون ·

— لقد جئنا نكلمه فى شأن التجار والزراع ·

— آه ·

— أعرفت ؟
— أهذه هى الكلمة ؟
— تلك يا اخى البداية .
— أهناك شىء آخر .
— انك لم تعرف الا رأس الموضوع فقط أما الكلام الذى نريد أن نقوله للحاكم فأنت لاتعرفه ونحن نحب أن نقوله له .
— ولماذا لا تقولونه لى ؟
— أنت حاجب الخليفة الست كذلك ؟
— انى هــو
— فابلغه أمرنا وانظر بماذا يجيبك .
ودخل الحاجب فما هى الا أن عاد .
— تعالوا معى .
— الى الحاكم .
— ستلقون الحاكم .
— الآن أليس كذلك ؟
— الآن نعم ... اتبعونى .
— يا أخا العرب ... انك دخلت الى الحاكم من هذا الباب فمالك تقصد بنا الى باب آخر ؟
— انه سيلقاكم فى حجرة اخرى .. اتبعونى .
وتبعوه .
— ولكننا يا اخى لم نقل شيئا بعد حتى تقودنا الى السجن .
— وهل رأيتمونى ادخلكم السجون وأقفل دونكم الابواب .
— فما مجيئنا الى السجن .
— انه الطريق الى الغرفة التى ينتظركم فيها الحاكم .
— آه ... وما هذا ؟
— لا شىء .
— رجل معلق من قدميه فى الهواء ورأسه موضوع فى الماء ثم لا شى .
— عملية تنشيط للذاكرة .
— أى ذاكرة ؟

— الذاكرة التى تنسى أحيانا أن الحاكم لابد أن يطاع .
— فان كسلت الذاكرة يموت .
— انه لن يموت .
— الموت أهون ... وهذا . ؟!
— مثله .
— ولكنه لا يعامل مثله .
— وسيلة أخرى لتنشيط الذاكرة .
— ولكن النار فى قدميه .
— ان الدماء اذا سخنت فى الاقدام وصلت الى الـــرأس حارة فتنشط الذاكرة .
— وهــذا ؟
— مثله .
— وهــذا ؟
— مثله .
— مثله ؟
— مثلة .
— أيطول بنا الطواف هنا ؟
— اننا فى الطريق الى الحاكم ... اتبعونى .
وتبعوه .
— ما هذا أيها الحاجب لماذا تقيد أيدينا وراء ظهورنا ؟
— لاتخافوا حين نخرج من هذه الغرفة سنفك أيديكم .
— ولكن لماذا ؟
— ستعرفون ... حالا ستعرفون .
ودخلوا الى حجرة كلها رفوف من الارض الى السقف وكل الرفوف مليئة بالماس والياقوت والزبرجد والزمرد أما الذهب فكان أكواما وصاح كبير القوم :
— الهذا قيدتم أيدينا ؟
— أنها أوامر صادرة الى حراس الغرفة .
— اننا نحتج ... أنحن لصوص ؟ سنبلغ الحاكم هذه الاهانة التى الحقتموها بنا .





ـ انها أوامر الحراس ·

ـ ولكنها اهانة فما نحن لصوص ·

ـ على كل حال لاتغضبوا فانكم ستعودون من هذه الغرفة فان كان الحاكم راضيا عنكم فانكم ستمرون بهذه المـ ـــرة وأيديكم مطلقة ·

ـ أهكذا ·

ـ على شرط ·

ـ ما الشرط ؟

ـ ألا تسرفوا فى أخذ الجواهر حتى تتبعج جيـــوبكم ويراكم الحراس ·

ـ شرط معقول ·

وخرجوا من الغرفة الى بهو فأطلقت أيديهم وقال لهم الحاجب ·

ـ انتظرونى هنا حتى أستأذن لكم على الحاجب ·

وحين تركهم نظر أحدهم الى كبيرهم ·

ـ ماذا أنت قائل ؟

ـ ما تريدون أن أقول ؟

ـ أتعرف ما نريد أن نقول ؟

ـ كل المعرفة ·

وحين دخلوا الى الحاكم بدأ كبيرهم ·

ـ يا مولاى الحاكم لقد أرسلنا التجار والزراع لنشكر لك هذا القرار الحكيم العادل الذى تفضلت فأصدرته فقد جعلتهم يشعرون أنهم يشاركون حقا فى بناء بلدهم ولو لم تصدر هذا القرار لارسلونا اليكم لنرجوكم أن تصدروا هذا القرار · ولكن نفاذ بصيرتكم ونبل معدنكم واصيل فطنتكم ورفيع فكركم ورائع تدبيريكم كل هذا كان أسبق منا وأنتم دائما بالفضل أسبق وبالخير أوثق وبالمجد أخلق·

وفى العودة مر أصحاب الكلمة فى غرفة الجواهر والذهب وكانت أيديهم مطلقة · والمفاجأة التى كانت تنتظرهم أن هناك طريقا يفضى الى خارج القصر دون أن يمر بالسجن ··· وقد دهشـــوا لذلك أى دهشة ·

كان عدلى يفرح أشد ما يفرح حين يمر بالاطفـــال فيلقى عليهم التحية فيستقبلونها بالفخر والاعجـاب والاكبار ،ان عدلى جمعه يلقى عليهم التحية ويعتبرهم رجالا يستحقون منه هذا الاكرام وكان هذا الشعور بالفرح فى نفوس الاطفال يسكب سعادة مزغردة فى قلب عدلى ويشعره أنه مازال فتى الليل ذا الصيت الضخم الذى تهتز لذكره أفئدة النــاس فى قريته وجميع القـــرى المجـــاورة وكان هــذا الشـــعور يسليه عن نظـره الذى يعلم أنه أصـــبح ضـــعيفا وهو يعلم أنه يجب أن يذهب الى طبيب يعالج له ما يفقده من بصره ولكنه يخشى أن يتسامع الناس بهذا فتسقط هيبته ويزول مجده الذى أصبح فى مهب الرياح منذ توقف عن الاعمال المجيدة التى تعود أن يقوم بها ــ فهو لم يقتل أحدا منذ ثلاث سنوات ومجده يوشك أن يصبح نسيا ، فانه لولا فرحة الاطفال بتحيته لاصبح بلا أمجاد على الاطلاق .

وهو يخشى أيضـــا أن تعرف حبيبته هنية أن نظره قد ضعف فينكمش حبها له وتفضل عليه زوجها . فهو اذن يبقى على سره دفينا فى العميق من صدره لايصنع عليه أحدا .

خرج عدلى من داره فى أول الليل وراح يتحسس طريقه الى دار عبد الباقى فى ليلة موعد كان عبد الباقى فى الحقل يروى الارض وسيظل هناك الى ساعة متأخرة من الليل فالفرصة مواتية لعدلى أن يذهب الى هنية .

استقبلته هنية فى بشاشة ودخلا الى حجرة النوم .

لم يطل بهما المقام فى الحجرة فقد سمعا صوتا .

ــ عبد الباقى .

ــ هل ترك الغيط ؟

ــ اخفض صوتك .

ــ أيهمك أمره .

ــ زوجى .

ــ وأنا عدلى .

ــ انه زوجى .

وذهل عبد الباقى مما يرى .

ــ عدلى .

وأخرج عدلى مسدسه من جيبه ولم يتكلم وأطرق عبد الباقى والثورة توشك أن تمزقه تمزيقا ولم يجد شيئا يفعله الا أن يخرج من البيت هائما على وجهه وتاه به الطريق وطال به المسير لا يعرف مكانه من القرية وهى قريته ولا يعرف قدميه على الطريق وهو طريقه وكل آفاق تذكر زوجته الخائنة ومسدس عدلى فيعود الى الضـــياع وينسلخ الليل وتطلع الشمس ولكن الظلام ما يزال يحيط به ويتلفت حواليه آخر الامر فيتبين له أن قدميـــه قد سحبتاه الى قريب من المدينة .

فى المدينة يعرف طريقه ... يعرفه فى اصرار وحزم ... انه الآن يعرف ما يريد ... ويعرف الطريق .

ــ بلغنى أنك تسلف .

ــ بفائدة عشرة فى المائة .

ــ فى السنة .

ــ فى الشهر .

ــ أعطنى عشرة جنيهات .

ــ لكم شهر ؟

ــ حتى أجمع القطن .

ــ لمدة ثلاثة شهور .

ــ نعم .

ــ وقع على هذه الكمبيالة .

ــ هات الفلوس .

ــ توقيعك غير واضح .

ــ أوقع ثانية .

ــ خذ الفلوس .

ــ هذه سبعة جنيهات ؟!

ــ خصمت الفائدة .

ــ آه ... اذن مزق هذه الكمبيالة واكتب كمبيالة اخرى بخمسة عشر جنيها .

وسار فى طريقه .. انه يعرف طريقه .

ـ أريد مسدسا .

ـ هل معك رخصة ؟

ـ بكم هذا المسدس .

ـ ان كان معك رخصة فهو بثمانية جنيهات .

ـ ان لم يكن معى .

ـ فهو باثنى عشر جنيها .

ـ والرصاص ؟

ـ بجنيه .

ـ اسمع أريد هذا المسدس مملوءا بضعفى مايحمله من بارود .

ـ مر على بعد ساعة .

وحين عاد الى القرية لم يذهب الى البيت فما عاد له بيت ذهب الى حقله وبات ليلته فى العراء .

وفى الصباح راح يهيم على وجهه محاذرا أن يقترب من بيوت القرية حتى اقتربت الشمس من المغيب فهو يسير الى بيت مسعود حيث يعلم أن عدلى يسهر كل ليلة وينتظر مترقبا حين خرج عدلى سار خلفه بضع خطوات ثم أخرج مسدسه وأطلق منه رصاصة ونظر اليه عدلى هالعا فاطلق رصاصة أخرى وثالثة حتى أفرغ رصاص المسدس جميعه وعدلى واقف على قدميه لم يتحرك فهو مسمر الى الارض شاخص الى قاتله لا يكاد يحس بقدميه من الهلع وهـذا الرصاص يتدافع من المسدس وعبد الباقى أشد هلعا ودهشا . عدلى . ان الرصاص لا يصيب مقتلا ... وحين ينتهى الرصاص يظل عدلى مسمرا فى هلعه ويضيق عبد الباقى من موقفه فيسارع بالجرى الخائف المفزع ويظل يجرى ويجرى حتى تجد قدماه الطريق الى المدينة ويظل يهيم بها شاردا ذاهلا فما يصبح الصبح وتفتح الابواب المغلقة حتى يسارع الى الرجل الذى باعه المسدس .

ـ ماهذا الرصاص ؟

ـ رصاص بلا بارود .

ـ لماذا فعلت هذا ؟

ـ عرفت أنك تريد أن تقتل .

ـ وما شأنك ؟

ـ وعرفت أنك لست قاتلا محترفا .

ـ ليس فى العالم شىء يستحق أن تفقد من أجله حياتك أو حريتك .

ـ شرفى .

ـ طلقها .

ـ شرفى .

ـ ان طلقتها سيصبح شرفها هى وليس شرفك أنت .

ويصمت عبد الباقى حينا ويجلس ويجتذب من أعماقه نفسـا بعيد الاغوار .

ـ عجيبة .

ـ ماذا ؟

ـ أحس الآن بالراحة .

ـ حقا ؟

ـ لقد قتلته .

ـ هل قتلته ؟

ـ أنا قتلته ولكن هو لم يمت .

ـ اذن فأنت فعلت ماتريد .

ـ لقد قتلته .

***

ظل عدلى مسمرا وتقاطر الناس الى صوت الرصاص فوجدوه واقفا جامدا على موضعه لم ينتقل وراحوا يسألون وهو شارد ... ذاهل ... هزوه .

ـ قتلنى .

ـ ليس بك جرح .

ـ ولكنه قتلنى .

ـ من ؟

وتطايرت القصة فى أرجاء القرى جميعا وأصبح القوم ولا حديث لهم الا هذا الحادث فانهم هناك يترقبون مثل هذه الحوادث بشغف، يتسقطون أنباءها ويمضغون حديثها فانهم هناك لا يجدون الكثير من وسائل التسلية ولا عزاء لهم عن هذا الا الحديث .. لن يتركه

عدلى سيجعل من جثته غربالا .. ستسمع الكثير فى الايام القليلة القادمة ... وسترى الكثير فى الايام القليلة القادمة ... ونقول .. ونروى ونتحدث ونتسلى .

وتمر الايام ويزداد التوقع والتشوق وعدلى وحده يعلم أنه لن يستطيع أن يصنع شيئا ان يده لا تعرف طريقها الى الطبق الذى يأكل منه الا بالتحسس .. لن يستطيع ... لن يستطيع .

ويمر بالناس فترنو اليه العيون فى ترقب وتوقع وفى اكبار أيضا فهو الرجل الذى تعلقت به آمالهم أن يمدهم بموضـــوع للحديث يعينهم على الملالة شهرا أو ربما شهرين .. انهم يتوقعون وهو يعلم أنهم يتوقعون ولكن كيف .. لعله يستطيع أن يستأجر قاتلا .. انها اذن النهاية ... على الذى عاش عمره جميعا يستأجره الناس للقتل يستأجر هو الآخر . اذن قد مات عدلى .

وتمر الايام وتصبح أسابيع وما تلبث أن تصبح شهورا ويحس الناس بخيبة الامل فقد فتر حديثهم عن حادثة عبـــد الباقى وهم يريدون أن يبدأوا حديثهم عن عدلى لقد خاب أملهم ... خاب أملهم . ولكن عدلى ما يزال يمر بالناس ويلقى التحية وقد أصبح الرجال يستقبلون هذه التحية بنغمة فاترة فيتظاهر عدلى بأنه لم يلحظ هذا الفتور ويمر الاطفال فيسعد بالنغمة المرحبة المليئة بالاعجاب والاكبار ويسعد ويشعر أنه ما زال ذا مجد وشموخ .

حتى كان يوم ... يا له من يوم .

مر الاطفال وكان من بينهم محمد بن عبده أبو السيد ... وكانت هذه الشلة من الاطفال قد عودته أن ترد تحيته فى اعجاب شديد يزيد على اعجاب الجماعات الاخرى من الاطفال .

ـ السلام عليكم يا رجال .

وتخافتت الاصوات وهى تقول :

ـ ســـــلام .

سلام فقط ... أين اذن الســـلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا سيد الرجال اذن الاطفال أيضا قد أصابتهم عدوى الفتور .

ولكن انتظر ما هذا .

انه لم يكن يخطو خطوتين حتى سمع صوتا .. انه يعرفه .. يعرف الصوت قال الصوت .

ـ جاءتك خيبة يا عدلى .

ويضحك الاطفال ولا يملك عدلى نفسه فينقلب اليهم .

ـ ولد يا محمد كيف تقول هذا ؟

ـ أصلك هايف ولا مو آخذة يا عم عدلى .

ـ قتلت ثلاثين رجلا ولا يمكن أن أنتهى الى قتل الاطفال .

ـ تستطيع أن تقتل رجلا اذا شئت يا عم عدلى .

ـ والله لن أقتل الا أباك .

ـ أنا شتمتك ... انما غيرى قتلك ولم تمد اليه يدا جاءتك خيبة يا عم عدلى وثار عدلى وهاج وعلا صوته وصرخ لقد أعمـــاه الغيظ عن ادراك الموقف فتجمع الناس ووجد القوم آخر الامر حديثا يسليهم عن الملالة .

ولكن عدلى لم يطق ... حياته أهون من ضياع مجده .

انتظر عبد الباقى فى الطريق وتحرى أن يكون ملاحقا للمكان الذى يمر به عبد الباقى ... ومر عبد الباقى وأطلق عدلى رصاصة وثنى بأخرى قبل أن يقفز اليه عبـــد الباقى فيصرعه .. ويصرخ عبد الباقى ويأتى الناس ويبلغ الحادث الى الشرطة والنيابة وحين يأتون الى مكان الحادث يقرر وكيل النيابة حفظ القضية والسبب ان المكان الذى أطلق منه عدلى الرصاص على عبد الباقى لا يسمح بالخطأ فقد كانت المسافة مترا واحدا فالشكوى كيدية يحاولون بها سجن عدلى فالاعمى وهو أعمى لايمـكن أن يخطىء من هـــذه المسافه القريبه .

ووجد القوم آخر الامر شيئا يتحدثون فيه ... وأصبح عدلى آخر الامر أسطورة خزى وخذلان ... وبعد شهور كان عبده أبو السيد يسير بحماره فاذا بعدلى يمسك برقبة الحمار .

ـ حاول أن يقتلنى عتاولة المجرمين يا عبده يا أبو السيد فلم يستطيعوا ولكن ابنك يا عبده أبو السيد قتلنى ... فوضت أمرى الى الله .. فوضت أمرى الى الله .



أختى [illegible]

انفـــاسى أين ذهبت ... لماذا لا أتنفس ... كيف استـــطاعت الدنيا جميعا أن تجثم على صدرى فلا أتنفس وكيف لا أزال أعيش وأنا لا أتنفس .. نعم انى أريد أن أعيش ولكن هل تكفى هذه الارادة حتى تجعلنى أعيش دون أن التقط من الهواء أنفاسى ... ؟ كيف وجدت نفسى فى هذه الحجرة ؟ وكيف أغلق على بابها وأغلقت من دونى نوافذها .. هذه النافذة الشرقية ، وهذه النافذة الغربية ، وهذه النافذة فى الوسط بينهمـــا .. لماذا اقفلت النوافذ جميعا فأصبحت لا أرى شيئا على الاطلاق وانما ... أسمع ...

هناك ضجيج فى الخارج هادر صخـــاب ... أنا لا أدرى شيئا ولا أتنفس ... لا ... لن يستطيعوا أن يستلبوا عقلى أو تفكيرى أو ذاكرتى ... فليقفلوا الابواب والنوافذ ما شاء جبروتهم أن يقفلوا ولكن سأظل أفكر وسأظل أذكر .

أرى هذا البخور ينساب الى الحجرة من خصاص النوافذ المغلقة ومن أسفل الباب المغلق ... أراه ولكنى لا أشمه . فأنا لا أتنفس ، وما دمت لا أتنفس فأنا لا أشم ... وما دمت لا أشم فالبخور لايصل الى عقلى ولا يؤثر فى ولا يصل بى الى الخدر الذى يبيتون لى ... اننى مفيق وان كنت لا أتنفس ، وسأظل مفيقا ... فأملى الوحيد فى الحياة أن أظل مفيقا ... وانى مفيق .

انها ليست حياتى وحدها التى أعيش لها ... ان حياة أختى معلقة بحياتى ... اذا أنا مت ماتت . واذا أنا ضعفت لهذا الخدر الذى يطلقون على انفردوا بأختى . وويل لاختى اذا هم أنفردوا بها ... الموت أهون ما تلاقيه ...

ليست أختى مجرد أخت وانما هى ماضى وحاضرى ومستقبلى .. ليس لى فى الحياة الا هى .. وليس لها فى الحياة الا أنا ...

ويكفى أن تكون مجرد أختى لابذل فى سبيلها حياتى ، ولكنها أكثر من ذلك ··· أكثر بكثير ···

ان أختى هى الانفاس التى تتردد فى كيانى ، هى غذائى وفكرى واملى ··· وليس هذا بغريب ··· فقد عرفتها وانا لا أعرف فى الوجود شيئا ، وظللت أعرفها بعد ذلك ·

أعرفها كجزء من كيانى وما زالت كل كيانى ··· لقفتنى يداها وأنا أدلف الى الحياة وقد مات أبى وام[illegible] ··· وماتت أمى وهى تلدنى ، ولم يبق لى فى الحيـــــاة او احد[illegible] لاختى حينذاك أحد ··· فتاة فى ربيع العمر ، ليس [illegible] كاؤها المتوقد ، وتحمل عبء طفل رضيع وليس له م[illegible]شعه ·

عملت ··· عملت فى كل الاعمـال ، ورفضت أن تتزوج حتى ترانى وقد استقام أمرى ، ولكن هنـاك شيئا واحدا لم [illegible]بل أن تضحى به من أجلى ·

ـ اننى احتفظت بها من اجلك ·
ـ كنت تكسبين أكثر لو تنازلت عن حريتك ·
ـ كنت أفقد كل شئ ·
ـ وهـــم ·
ـ الوهم أن أفقدها ·
ـ كان يمكن ان تشقى الحياة فى يسر لو لم تتمسكى بهـا هذا التمسك الاعمى ·
ـ أعتقد انه الحق ·
ـ والحيـــاة ·
ـ لا حياة بدونها ·
ـ كنت تعملين ؟
ـ العمل حرية ·
ـ وقيـــــود ·
ـ حرية بلا قيود هى الفوضى ·
ـ لقد حملت العبء ثقيلا
ـ شعورى بأنى حرة جعلنى أحتمله ·
ـ وقدمت لى الحرية ·

ـ ألم تسعد بها ؟
ـ لست أدرى ·
ـ أنك تحاول التفلسف ·
ـ بل أقول الحق ·
ـ أنك تدمرنى بهذا الذى تقول ·
ـ اعتقد انه الحق ·
ـ اذن فعبث كل الذى بذلته من اجلك ·
ـ اننى أعيش ·
ـ ان كن[illegible] ٧ تعرف معنى ماقدمت فأنت لاتعيش ·
ـ ·
ـ انك تعيش لانك تتنفس ·
ـ كل انسان يعيش لانه يتنفس ·
ـ لو تنفست ما وهبته لك ما احتجت الى الشهيق والزفير ·
ـ أنا لا أدرى ·
ـ كل ما فى الامر انك لم تجد نفسك محتاجا لتدرى ·
ـ لا أفهم ·
ـ لم تتعرض للموقف الذى تمتحن فيه نفسك ·
ـ أرجو الا أتعرض ·
ـ بل أرجو أن تتعرض ·

وحين استقام منى الامر واصبحت قادرا على مواجهة الحياة تقدم الى اختى من يخطبها ·

رجل كبير فى السن ، ذو سطوة وسلطان ··

ـ انه كبير فى السن ·
ـ وهل يمكن ان يتزوجنى الا كبير فى السن ؟
ـ الا تخافين ·
ـ فى كل حياة جديدة عناصر من الخوف ·
ـ لم تتعودى ·
ـ لابد أن أتعود ·
ـ ولماذا ؟
ـ من اجلك ··

— من أجلى أنا ؟
— أريد ان تتجدد أنت أيضا ·
— ولكنك ستظلين أختى
— وزوجة ·
— لماذا تقولين هذا ؟
— لقد عشت عمرا طويلا فرعا ··· مجرد فـرع ··· أريدك أن تكون أصلا ·
— لمـاذا ؟
— لتعيش الحياة ··· لابد للحياة أن تعيش
— فليعمل غيرنا على أن تعيش الحياة ·
— ولماذا لا نعمل نحن ؟
— لانى ···
— قـل ·
— لانى أحبك ·
— ولانى أحبك أقبل الزواج ·

وذهبت الى بيت زوجها وبدأت حياة جديدة ··· وبدأت أنا ايضا حياة جديدة ··· ولكننى كنت أذهب اليها فى كل يوم ··· الاسى والحزن والالم واللوعة هى وجهها ··· والسعادة والهناء والبشر والسرور هى الفاظها ·

— مالك ؟
— سعيدة ·
— حقا ؟
— ألا ترى ؟
— لا ··· ولكنى أسمع ·
— ما تسمعه هو الحقيقة ·
— لابد أن أراه ·
— يكفيك أن تسمع ·

كنت أذهب الى بيت أختى فى مواعيد منظمة ··· وكنت كلما شهدت التناقض بين ما تراه عينى وما تسمعه أذنى أزداد لهفـة عليها وخوفا ··· وفى يوم ذهبت فى غير موعدى فوجـدتها فى حجرة مغلقة مع زوجها ··· فمكثت أنتظر خروجها ··· وخرجت بعد وقت لم يطل ·

— وبماذا تبررين هذه الدموع ؟

— دموع فرح ·
— دموع الفرح ليست غزيرة كهذه الدموع ·
— اتعرف لها عددا معينا ؟
— دمعة واحدة أو اثنتين ·
— ولكن الفرح الكبير له دموع كثيرة ·
— ليست هذه دموع فرح ·

لم اكن قبل ذلك أسأل زوجها عن شىء · ولكننى فى ذلك اليوم

— لمـاذا ؟
— ماذا ؟
— لماذا لا تسعدها ؟
— هل شكت ؟
— دون أن تتكلم ·
— ليس هناك ما تشكو منه ·
— لانك تمنعها من الشكوى ·
— بل لانها لاتجد ما تشكو منه ·
— لعلها لاتريد أن تزعجنى ·
— حين تشكو اليك اسأل ·
— ولكن لماذا لاتسعدها ··· لقد وهبت لك أغلى ماادخـرته فى حياتها ·
— انما اصنع كل ما أصنعه لاسعادها ·
— لن يفيد هذا المخدر الذى يبثونه عبر النـوافذ ومن تحت الباب · فانى مفيق ·

وانى اذكر ··· أذكر حين ذهبت اليها مرة أخرى على غير موعد فوجدت زوجها يضربها فى البهو بعصا غليظة ، وهى صامتة جامدة وهو يضرب ويضرب ·

ولم افكر ··· ووجدت نفسى أهم على العصا لاوقفها · وقبل أن اصل كنت هنا فى هذه الغرفة ·

لا أتنفس · ولكنى أعيش ··· ان الحياة التى فى داخل تجعلنى أعيش ·

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية ٤٩٠٠/٧٩
الترقيم الدولى ISBN ٩٧٧ - ٧٠٤١ - ٩٨ - ٤





هذا الكتاب

يختتم « كتاب اليوم » هذا العام بهذه المجموعة القصصية للكاتب الاديب الاستاذ ثروت اباظة الذى عرف بجزالة عباراته وسلاستها واسلوبه المميز الممتع.

ويتضمن الكتاب ١٥ قصة من نبض الحياة ، تتغلغل فى خلجات النفس البشرية فيها كل المتعة للقلب والعقل.. والاثارة للمشاعر .